قصة انشقاق القمر

دراسة حديثية فقهية لمرويات انشقاق القمر
وبيان تعارضها مع آيات الكتاب

بقلم

أحمد فوزي وجيه

تنويه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

فالايمان بالمعجزات فرع من الايمان بالله تعالى وقدرته سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون وإنكار المعجزات بالكلية يتعارض مع نصوص القرآن الكريم وذكر معجزات الأنبياء فيها فالمعجزات من دلائل النبوة ودلائل الايمان
ولكن ليس معناه الايمان بكل ما ورد في التراث من غير التثبت من صحته وتحقق حدوثه فالايمان بالمعجزات ثابت في الاسلام والايمان بكرامات الأولياء أمر غير مستبعد ولا اعتراض عليه والله يختص بفضله من يشاء سبحانه
ولكن الشأن في التثبت من وقوعها قبل الايمان بها وإلا صار الايمان بالمعجزات باباً للايمان بالخرافات وهذا ليس مراد الشرع بالتأكيد.

ومن هذا قصة انشقاق القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة
وهي قصة يؤمن بها جمهور المسلمين وهي لم تذكر في القرآن الكريم مع أنها شيء عظيم جليل القدر لا تقل في المنزلة وعظيم القدرة عن آيات إحياء الموتى للمسيح وناقة صالح وعصا موسى وقد تكرر ذكرهم في القرآن مراراً بصراحة لا تحتمل التأويل
أما هذه الآية الباهرة فلم يأت ذكرها في القرآن اللهم إلا في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر)
وقد تنازع العلماء في تفسيرها ومعناها وهل المراد بها هذه القصة أم أنها من علامات يوم القيامة كما سيأتي.

أما القصة وتفاصيلها فقد رواها بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد جهدت في تحقيق هذه المرويات لمعرفة أصل القصة وحقيقتها والله الموفق.

أحاديث انشقاق القمر

1- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

قال الامام البخاري: حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشْهَدُوا. ه

رواه البخاري 3636-4865 ومسلم 2158/4 وأحمد 3583 والترمذي 3287 والحميدي 86 والحاكم 3757 وتفسير عبد الرزاق 3059 وشرح مشكل الآثار للطحاوي 698 والفاكهي في أخبار مكة 21/4 ومسند الشاشي 757 واللالكائي 873/4 وغيرهم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود.

قال الحميدي في هذا الحديث وحديث آخر: قال سفيان: أَثْبَتَ لَنَا ابْنُ أَبِى نَجِيحٍ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَنْ أَبِى مَعْمَرٍ.

قلت: هذا الحديث رواه عن ابن مسعود كلاً من:

1- أبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدي:

رواه عنه مجاهد بن جبر المكي كما تقدم.

ورواه عنه إبراهيم النخعي عند البخاري 3869-3871-4864 ومسلم 2158/4 وأحمد 4270-4360 والترمذي 3285 والطبري 566/22 وابن حبان 6495 وغيرهم من طريق الأعمش عنه عن أبي معمر عن ابن مسعود.

وتابعهما عبد الله بن مرة عن أبي معمر ذكره الدارقطني في العلل 170/5

2- مسروق بن الأجدع الهمداني من طريق أبي الضحى مسلم بن صبيح ورواه عن أبي الضحى كلاً من:

- سليمان بن مهران الأعمش عند البخاري 4767 ومسلم 2157/4 والطبري 566/22 والبغوي في التفسير 175/4 والبزار 341/5 والطحاوي في شرح المشكل 423/2 والبيهقي في الدلائل 327/2 وغيرهم بلفظ:

خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان.

- فطر بن خليفة القرشي عند الطحاوي في شرح مشكل الآثار 423/2 والطبراني 215/9 والبزار 341/5 ولفظه كلفظ رواية الأعمش ورواه نعيم بن حماد في الفتن 1676 عن وكيع عن الأعمش وفطر عن أبي الضحى.

- منصور بن المعتمر عند النسائي في الكبرى 11310 ولفظه: مَضَى اللِّزَامُ وَالْبَطْشُ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَضَى الدُّخَانُ وَالْقَمَرُ وَالرُّومُ.

وعند الترمذي 3254 نحوه وقرن معه الأعمش في حديث طويل وقال: قال أحدهما: الْقَمَرُ وَقَالَ الْآخَرُ: الرُّومُ.

- المغيرة بن مقسم الضبي في تفسير الطبري 567/22 ومسند الطيالسي 293 ومسند الشاشي 404 وشرح مشكل الآثار للطحاوي 177/2 واللالكائي 874/4 ودلائل النبوة لأبي نعيم ودلائل النبوة للبيهقي 266/2 والاعتقاد له ص269 ولفظه: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ: وَقَالُوا: انْتَظَرُوا مَا تَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ: فَجَاءَ السُّفَّارُ فَقَالُوا ذَاكَ.

وذكره البخاري عقب حديث أبي معمر 3869 معلقاً فقال (وَقَالَ: أَبُو الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ انْشَقَّ بِمَكَّةَ)

قلت: تفرد به المغيرة بن مقسم عن أبي الضحى بهذا اللفظ وخالفه الأعمش ومنصور وفطر بن خليفة فرووه عن أبي الضحى باللفظ الأول وهو أصح. والمغيرة بن مقسم ثقة لكنه يدلس وقد رواه بالعنعنة ولم يصرح بالسماع. (انظر في تدليس المغيرة الثقات لابن حبان 10955 وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين 1333 وجامع التحصيل 110/1 وطبقات المدلسين ص46)

وقوله (وَقَالُوا انْتَظَرُوا مَا تَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ فَجَاءَ السُّفَّارُ فَقَالُوا ذَاكَ) زادها المغيرة في حديث أبي الضحى والظاهر أنه دلسها عن غير ثقة إذ قد روى الثقات حديث أبي الضحى عن مسروق بلفظ (خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان) أو نحو ذلك وليس فيه هذه الزيادة فهي شاذة لذا علقه البخاري واقتصر فيه على اللفظ الذي توبع عليه عن ابن مسعود فقال (عن عبد الله انشق بمكة)

3- عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود عند أبي نعيم في دلائل النبوة 207 ولفظه: انْشَقَّ الْقَمَرُ فَرَأَيْتُهُ فِرْقَتَيْنِ.

4- محمد بن سيرين قال: نُبِّئت أن ابن مسعود كان يقول: قد انشقَ القمر. تفسير الطبري 567/22 وأخبار مكة للفاكهي 15/4 وابن سيرين لم يسمعه من ابن مسعود فهو منقطع.

5- محمد بن السائب الكلبي عند عبد الرزاق في التفسير 3056 قال: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: انْشَقَّ الْقَمَرُ حَتَّى رَأَيْتُ حِرَاءَ بَيْنَ شَقَتَيْهِ. والكلبي متروك متهم ولم يسمع من ابن مسعود.

وروي عن ابن مسعود من طرق أخرى لكنها لا تصح:

رواه الطبراني في الكبير 89/10 وفي الأوسط 39 من طريق الوليد بن عباد عن عرفطة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود والوليد بن عباد مجهول. (لسان الميزان 223/6)

ورواه أحمد 3924 وأبو داود الطيالسي 278 وعبد الرزاق في التفسير 3058 والطبري 567/22 من طريق سماك بن حرب عن إبراهيم عن الأسود بن يزيد عن ابن مسعود وفي رواية الطيالسي عن علقمة أو الأسود وسماك بن حرب تغير حفظه بأخرة وقد رواه الثقات عن إبراهيم النخعي عن أبي معمر عن ابن مسعود وهو المحفوظ في حديث إبراهيم. (انظر العلل للدارقطني 170/5)

ورواه الطبراني 75/10 من طريق منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن ابن مسعود وفي اسناده الحسن بن حباش الحماني اخباري ضعيف وقد اتهم. (لسان الميزان 198/2)

2- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قال أبو داود الطيالسي: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَعْمَشُ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشْهَدُوا. ه

رواه الطيالسي 2003 ومسلم 2159/4 والترمذي 2182 والطبري 567/22 وابن حبان 6496 والطبراني 399/12 واللالكائي 876/4 ومعجم ابن الأعرابي 1818 ودلائل النبوة لأبي نعيم 208 وغيرهم من طريق شعبة بن الحجاج عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر.

قلت: الحديث من رواية شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر وهو في لفظه كحديث مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود.
لذا قال الحافظ ابن حجر: فَاللَّهُ أَعْلَمُ هَلْ عِنْدَ مُجَاهِدٍ فِيهِ اسنادان أَو قَول من قَالَ بن عُمَرَ وَهَمٌ مِنْ أَبِي مَعْمَرٍ. (فتح الباري 183/7)

قلت: لعل شعبة وهم في اسناد هذا الحديث وإنما رواه الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وهذا هو المحفوظ عن الأعمش وعن مجاهد وقد ذكروا أن شعبة يخطيء أحياناً في أسماء الرجال والله أعلم.

وقد رأيت البخاري حكم بالوهم على حديث آخر حصل فيه نفس الاختلاف من شعبة على مجاهد.
ففي حديث التشهد: التحيات لله والصلوات والطيبات قال الترمذي: سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال: رَوَى شُعْبَةُ عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَرَوَى سَيْفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ مُحَمَّدٌ: وَهُوَ الْمَحْفُوظُ عِنْدِي.
العلل الكبير ص104

وقد روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو وهو وهم أيضاً.

قال محققوا المسند: أورد الحاكم من الشواهد حديث عبد الله بن عمرو أخرجه 472/2 من طريق أبي داود الطيالسي عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمرو وهذا وهم وقع أيضاً عند الذهبي في التلخيص

والصواب: عن ابن عمر كما هو عند الطيالسي في مسنده برقم 1891 وكذلك هو عند مسلم كما ذكرنا آنفاً. ه
(مسند أحمد ط. الرسالة 62/6)

3- حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

قال البخاري: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بَكْرٌ عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ه

رواه البخاري 3870 - 4866 ومسلم 2159/4 والحاكم 3758 والطبري 568/22 ومشكل الآثار للطحاوي 180/2 واللالكائي 876/4 ودلائل النبوة للبيهقي 267/2 وغيرهم
وعند الطبري في التفسير 568/22 عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: انشق القمر قبل الهجرة أو قال: قد مضى ذاك.
قلت: هذا القدر هو المحفوظ عن ابن عباس في هذا الحديث.

وأما ما رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (209) عن ابن عباس أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق القمر لنا فرقتين نِصْفًا عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ وَنِصْفًا عَلَى قُعَيْقِعَانَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ فَعَلْتُ تُؤْمِنُوا؟ قَالُوا: نَعَمْ وَكَانَتْ لَيْلَةَ بَدْرٍ فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا سَأَلُوا فَأَمْسَى الْقَمَرُ قَدْ مُثِّلَ نِصْفًا عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ وَنِصْفًا عَلَى قُعَيْقِعَانَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنَادِي: يَا أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ وَالْأَرْقَمُ بْنَ أَبِي الْأَرْقَمِ اشْهَدُوا. ه
ففي اسناده موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني كذاب يضع الحديث.
(لسان الميزان 210/8)

وما رواه أبو نعيم برقم (210) من طريق بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن الضحاك عن ابن عباس قال: جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل أن يريهم آية فأراهم القمر قد انشق فصار قمرين

أحدهما على الصفا والآخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليهما ثم غاب القمر فقالوا: هذا سحر مستمر. ه
فبشر بن الحسين الأصبهاني متروك متهم بالكذب والرواية بذكر اليهود منكرة. (انظر لسان الميزان 21/2)

وروى الطبراني في الكبير 250/11 وفي الأوسط 8315 من طريق محمد بن بكر البرساني (صدوق قد يخطيء) عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كُسِفَ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: سُحِرَ الْقَمَرُ فَنَزَلَتْ {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ} الْقَمَرُ إِلَى قَوْلِهِ {مُسْتَمِرٌّ}
ثم ذكر الطبراني متابعة لحديث ابن جريج من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي عن عمرو بن دينار وفيها: انكسفت الشمس وإبراهيم متروك الحديث فهذه متابعة ساقطة وذكر كسوف الشمس منكر وقد رواه ابن جريج معنعناً وهو مدلس ولم يصرح بالسماع.

ورواه الثعلبي 161/9 من طريق عمر بن الحسن الشيباني عن أحمد بن الحسن عن أبيه عن حصين عن سعد عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ:
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنين شطره على السويداء وشطره على الجندمة. ه
وهذا طريق منكر فالشيباني ضعيف متهم وسعد الذي يروي عن عكرمة إن كان ابن طريف فهو أيضاً متهم بالكذب ورفعه من كلام ابن عباس غير محفوظ
وإنما المحفوظ أنه من كلام عكرمة مرسلاً

كما رواه عبد الرزاق في مصنفه 4941 قال:
عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس قال: كَسَفَ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: سُحِرَ الْقَمَرُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} إِلَى {مُسْتَمِرٌّ}. ه
وهنا صرح ابن جريج بالسماع من عمرو بن دينار بخلاف الأول.

وقد رواه ابن جريج عن عمرو عن عكرمة بلفظ: كسف القمر.
وهذا هو الصحيح المحفوظ عن عكرمة.

ورواه سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة بلفظ: انشق القمر.
رواه عنه نعيم بن حماد في الفتن 1682 وسعدان بن نصر في جزئه ص23 وعلي ابن المديني عند الزجاج في معاني القرآن 83/5

ولعل سفيان بن عيينة روى الحديث بالمعنى وسلك فيه الجادة وإلا فرواية ابن جريج أثبت لأنها من كتاب.

قال البخاري: الكتاب أحفظ عند أهل العلم لأن الرجل ربما حدَّث بشيء ثم يرجع إلى الكتاب فيكون كما كان. ه
رفع اليدين في الصَّلاة (ص28)
وقال يحيى بن سعيد القطان: كنا نسمي كتب ابن جُرَيْج كتب الأمانة وإن لم يحدثك ابن جُرَيْج من كتابه لم تنتفع به.
وقال: إذا قال حدثني فهو سماع وإذا قال أخبرنا أو أخبرني فهو قراءة.
تهذيب الكمال 351/18
وقال علي بن المديني: قلت ليحيى: سفيان في عمرو بن دينار أثبت من ابن جريج؟ فقال لا ابن جريج أثبت. تاريخ بغداد 142/12

ورواه أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن 83/5 عن الضحاك بن مخلد عن ابن جريج عن عمرو عن عكرمة بلفظ انشق القمر.

وفي هذه الرواية لم يصرح ابن جريج بالسماع ورواية عبد الرزاق عن ابن جريج أصح والظاهر أن الزجاج أخطأ في هذه الرواية أو سلك فيها الجادة وهو أديب نحوي لكنه ليس بحجة في الحديث ولم يوثقه أحد من أهل العلم فالمحفوظ عن ابن جريج الرواية بلفظ الكسوف وهو الأصح عن عكرمة والله أعلم.

وقد حاول ابن كثير الجمع بينها وبين ما صح عن ابن عباس في ذكر انشقاق القمر ولا حاجة للجمع هنا مع بيان خطأ رواية الكسوف عن ابن عباس والصحيح أنها من رواية عكرمة.

4- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ. ه

رواه البخاري (4868-3868-3637-4867) ومسلم (2159/4) وأحمد (12688وغيره) وعبد الرزاق (3057) والطبري (565/22) والترمذي (3286) والنسائي في الكبرى (11490) وأبو يعلى (2930) وعبد بن حميد (1184) والحاكم (3761) والبزار (377/13) والطحاوي في مشكل الآثار 182/2 واللالكائي (875/4) وغيرهم من طرق عن قتادة عن أنس بن مالك
وقد صرَّح قتادة بالسماع عند أحمد (13154) ورواه شعبة عن قتادة عند البخاري (4868) وأحمد (13918)

5- حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

قال الطبري: حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن قال: كنت مع أبي بالمدائن قال: فخطب أميرهم وكان عطاء يروي أنه حُذيفة فقال في هذه الآية (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) قد اقتربت الساعة وانشقّ القمر قد اقتربت الساعة وانشق القمر اليوم المضمار وغدا السباق والسابق من سبق إلى الجنة والغاية النار قال: فقلت لأبي غدا السباق قال: فأخبره.ه

رواه الطبري (568/22) وعبد الرزاق في مصنفه (193/3) وابن أبي شيبة (139/7) وأبي داود في الزهد (ص246) والحاكم (651/4) وأبو نعيم في الحلية 280/1 والطحاوي في مشكل الآثار (181/2) وأحاديث السري بن يحيى 164 والزجاج في معاني القرآن 84/5
كلهم من طرق متعددة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن حذيفة بن اليمان.

قلت: رجاله ثقات إلا عطاء بن السائب فإنه صدوق قد اختلط لكن من سمع منه قديماً كشعبة وسفيان فسماعهم قبل اختلاطه وهم من الرواة عن عطاء في هذا الأثر.
(انظر تهذيب الكمال 92/20)

وقد رواه السري بن يحيى عن قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري به وزاد: (أَلا إِنَّ الْقَمَرَ قَدِ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ)
وهذه زيادة مدرجة في الحديث وغير محفوظة ولعلها من أخطاء قبيصة وقد ذكروا أنه يخطيء في الرواية عن سفيان. (التهذيب 484/23)
وخالفه عامة من روى الحديث عن عطاء كشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ومسعر بن كدام وهمام بن يحيى وغيرهم كلهم رووه بلفظ: (قد اقتربت الساعة وانشق القمر) أو نحوه من الألفاظ من غير زيادة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ورواه الزجاج عن حماد بن زيد بنحو رواية قبيصة والزجاج مجهول الحال في رواية الحديث وقد تفرد بروايته عن حماد بن زيد وأخطأ في اسناده فرواه عن حماد بن زيد عن عكرمة عن عطاء وذكر عكرمة هنا خطأ بلا شك.

ورواه الطبري 569/22 من طريق محمد بن حميد (ضعيف) عن مهران بن أبي عمر (صدوق فيه ضعف) عن أبي سنان سعيد بن سنان البرجمي قال: قدم رجل المدائن .. فذكره وهذا اسناد ضعيف وأبو سنان لم يدرك حذيفة ولم يسمع منه.

ورواه ابن وهب في التفسير 75/1 من طريق شبيب بن سعيد عن أبان بن أبي عياش عن مسلم بن أبي عمران الأسدي عن حذيفة بلفظ: ألا وإن الساعة قد اقتربت وأما القمر فقد انشق وهو منكر من هذا الوجه وأبان متروك الحديث. (انظر الكامل لابن عدي 49/5 وتهذيب الكمال 20/2)

فالحديث محفوظ من رواية عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن حذيفة موقوفاً عليه من غير زيادة على عهد رسول الله.

6- حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه:

قال الامام أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَفِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ فَقَالُوا: إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ. ه

رواه أحمد (16750) والترمذي (251/5) وابن حبان (422/14) والحاكم (513/2) والبزار (357/8) والطبراني (132/2) والطبري (568/22) وغيرهم

قلت: اسناده ضعيف معلول فيه علة قادحة نبه عليها النقاد من أهل العلم فقد سئل الامام الدارقطني عن حديث محمد بن جبير عن أبيه أنه قال:
انشق القمر ونحن بمكة مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:
يرويه حصين بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَاخْتُلِفَ عَنْهُ فَرَوَاهُ أَبُو كدينة ومفضل بن مهلهل وأبو جعفر الرازي وورقاء عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده وكذلك قال أحمد بن بديل عن ابن فضيل عن حصين وخالفه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو سعيد الأشج فروياه عن ابن فضيل عن حصين عن محمد بن جبير عن أبيه وقول من قال عن جبير بن محمد عن أبيه عن جده أشبه. ه
علل الدارقطني (418/13) وكذا قال الذهبي في تاريخ الاسلام (596/1)

وقال مقبل الوادعي: إذا نظرت إلى سند هذا الحديث فهو محتمل للحسن وقد رواه ابن حبان وعنده متابعة محمد ابن فضيل بن غزوان لسليمان بن كثير فيرتقي الحديث في ظاهره إلى الصحة ولكن الحديث رواه الحاكم (ج2ص472) من طريق هشيم عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده وهشيم أثبت من سفيان وشعبة في حصين قاله يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي كما في تهذيب التهذيب. وقال أبو داود قال أحمد ليس أحد أصح حديثا عن حصين من هشيم كما في تهذيب التهذيب أيضاً. وفيه اختلاف آخر ففي تحفة الأشراف عن المزي رحمه الله رواه محمد بن فضيل عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن محمد بن جبير عن أبيه. اهـ وذكر الحافظ هذا الإختلاف في النكت الظراف ثم قال: ولولا هذا الإختلاف لكان الحديث على شرط الصحيح. اهـ
قال مقبل الوادعي: والظاهر أن الإختلاف من حصين بن عبد الرحمن فإنه كان قد تغير والله أعلم. ه
(أحاديث معلة ظاهرها الصحة برقم 104)

وقال محققوا المسند (16750): إسناده ضعيف حصين بن عبد الرحمن وهو السلمي لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم بينهما جبير بن محمد بن جبير كما سيأتي في التخريج وهو مجهول. ه

قلت: ومع ضعف إسناده فالمتن فيه نكارة ومخالفة لما في الصحيحين وغيرهما عن جبير بن مطعم قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي فِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ , أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ , أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ} قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي. ه (المتن بتمامه من مجموع طرقه كما في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد 324/21)

وقصة انشقاق القمر كانت في مكة قبل يوم بدر فلو حضر جبير بن مطعم انشقاق القمر لآمن أو كان ذلك أول ما وقر من الايمان في قلبه أو لذكرها كما ذكر قصته مع الآيات من سورة الطور والله أعلم.

7- حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال الطحاوي: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا لُوَيْنٌ حَدَّثَنَا حُدَيْجُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْجُعْفِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي حُذَيْفَةَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ سَلَمَةُ بْنُ صُهَيْبٍ الْأَرْحَبِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ه
رواه الطحاوي في شرح مشكل الاثار (177/2)

قلت: اسناده ضعيف منكر
حديج بن معاوية الجعفي تفرد به وهو ضعيف قال ابن حبان: مُنكر الْحَدِيث كثير الْوَهم عَلَى قلَّة رِوَايَته. (المجروحين 271/1)

والحديث فيه علة أخرى تؤكد خطأ ونكارة الرواية:
فالحديث من رواية علي بن عبد الرحمن الكوفي عن لوين وعلي بن عبد الرحمن وإن كان صدوقاً إلا أنه خالف الثقات في هذه الرواية.

فرواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (793) عن لوين عن حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن أبي حذيفة عن علي قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بزغ القمر كأنه فلق جفنة فقال: الليلة ليلة القدر. وكذا تابع عبد الله بن أحمد محمد بن إبراهيم الْحَزْوَرِيُّ في روايته لجزء لوين (36)

ورواه أبو يعلى في مسنده (535) عن محمد بن بكار (ثقة) عن حديج بن معاوية عن أبي إسحاق عن أبي حذيفة عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: رأيت القمر ليلة القدر كأنه شق جفنة.

ورواه أحمد (23129) والنسائي في الكبرى (3397) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق أنه سمع أبا حذيفة يحدث عن رجل من أصحاب النبي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: نظرتُ إلى القمر صبيحةَ ليلة القَدْرِ فرأيتُه كأنه فِلْق جفنة.

وهذا هو المحفوظ في الحديث كما بينه الدارقطني في العلل (497) وعليه فالرواية عن علي في انشقاق القمر مع ضعفها هي رواية خطأ ومنكرة والمحفوظ إنما هو عن رجل من أصحاب النبي في ليلة القدر لا انشقاق القمر والله أعلم.

خلاصة التخريج والفوائد المستفادة

هذه هي مرويات القصة ومن رواها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبعض طلبة الحديث بحثاً في تخريج مرويات القصة هذا رابطه:

https://majles.alukah.net/t68488/

وهو بحث مفيد وقد زدت عليه الكثير من الزيادات والتخريجات وبيان الخطأ والعلة في الروايات وقد سهوت عن ذكر بحثه في النسخة السابقة من الكتاب فاللهم غفراً ..

ويُستفاد من التخريجات السابقة فوائد:

1- القصة لا يصح نقلها إلا عن ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم: عبد الله بن مسعود – عبد الله بن عباس- أنس بن مالك ورابعهم عبد الله بن عمر إن كان الاسناد إليه محفوظاً.

2- جُلَّ هؤلاء الرواة من صغار الصحابة الذين لم يشهدوا القصة ولم يروها بأنفسهم ومنهم من لم يكن قد ولد بعد.

3- عبد الله بن مسعود هو الصحابي الوحيد الذي جاءت عنه الرواية في حضوره للحادثة.

4- الحديث جاء عن ابن مسعود بألفاظ مختلفة فبعضهم نقل عن ابن مسعود أن القمر قد انشق وبعضهم نقل عنه أنه فَسَّر خمس آيات من القرآن أنها قد وقعت ومنها انشقاق القمر وبعضهم نقل عنه أنه شهد مع النبي انشقاق القمر.

5- لا يصح عن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى هذه الحادثة أو شهدها أو نُقل عنه ذلك باسناد صحيح إلا ما كان من رواية عبد الله بن مسعود فهو أصل القصة ومصدرها وعنه نقل صغار الصحابة كأنس وابن عباس.

6- رواية حذيفة بن اليمان ليست ظاهرة الدلالة على وقوع القصة بل الظاهر منها الوعظ والترهيب بقرب مجيء الساعة وتوقع أحداثها لا فى كلام عن أحداث قد حصلت تأييداً للرسول وإثباتاً لنبوته لأن ذلك كان فى معرض العظة والاعتبار ولم يصرِّح بشهود هذا أو وقوعه.
فحديث حذيفة خطبة جمعة الغرض منها الوعظ وحث الناس على المسارعة في الخير وليس فيها إشارة للقصة بأحداثها أو أنها من معجزات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

7- بيان خطأ من زعم النقل المتواتر للقصة فهي لا تصح إلا عن ثلاثة أو أربعة من الصحابة وهذا ابتداءً عدد لا يبلغ حد التواتر وثانياً أن حقيقة هذه الرواية تعود لواحد منهم هو الذي نقلها ومنه أخذ الباقون.

فحقيقة القصة أنها خبرُ واحدٍ لا غير والجزم بالتواتر لابد من ثبوته في كل طبقة من طبقات الاسناد وطبقة الصحابة أهمها وأعلاها.

8- بقية الصحابة ليست لهم رواية في الباب ولا يصح أن يُجزم باقرارهم أو يُدَّعى اجماع الصحابة برواية البعض منهم فهذا من الخطأ عليهم وهو قولٌ بغير علم فلا يُنسب لساكت قول على الصحيح.

وقد زعم بعض أهل العلم تواتر أحاديث انشقاق القمر واجماع المسلمين عليه

قال ابن كثير في السيرة النبوية (114/2):
وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها.. ثم ذكر أحاديث الباب التي أوردتها هنا وقال في آخرها: فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها. ه

هكذا قال رحمه الله وها أنا قد ذكرت لك طرقها ومن رواها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أوردها ابن كثير وغيره ليحيط بها القارئ وينظر فيها ويتأملها ليعلم خطأ دعوى التواتر وبُعد الجزم بالقطع واليقين وفوق كل ذي علم عليم.

أما دعوى الاجماع ففيه نظر كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (183/7) وقد صح عن عكرمة أنه كسوف للقمر كما سبق وسيأتي نقل أقوال المفسرين واختلافهم.

وقد ذكر الامام ابن تيمية أن أحاديث انشقاق القمر مستفيضة لكنه استدل على تواتر الحادثة باقرار الناس لها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سماع الآيات من سورة القمر تتلى عليهم في أعظم مجامعهم كالعيدين فاعتبر ذلك اقرار منهم بوقوع الحادثة فهو عنده دليل تواتر أو كالمتواتر.
(انظر الجواب الصحيح 418/1 وما بعدها)

وهذا الاستدلال ضعيف لأنه مبني على الجزم والقطع بأن الآية تتكلم عن انشقاقٍ قد وقع وهذا أصلٌ مختلفٌ فيه ابتداءً وسيأتي نقل اختلاف المفسرين في المقصود بالانشقاق في الآية وأنه من علامات يوم القيامة ولم يحدث بعد ومنهم من قال هو كسوف وعليه فلا يصح الاحتجاج باقرار الناس وسماعهم للآية فإن هذا لا يدل على وقوعه فضلاً عن تواتره ولو صح الجزم بأن الآية تتكلم على انشقاق قد وقع فهي بنفسها كافية في الاثبات المتواتر للحادثة ولا حاجة لطلب اقرار الناس بعد ذلك فالله خير الصادقين.
فالاستدلال بالآية على دعوى التواتر في مرويات القصة ضعيف والقصة من باب خبر الواحد والله أعلم.

تفسير قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر)

قال الله سبحانه:
(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)

ذهب جمهور المفسرين أن المراد من هذه الآية ما ورد في الأحاديث السابق ذكرها
وأنها نزلت في حادثة انشقاق القمر.

وذهب البعض منهم قديماً وحديثاً أن القمر لم ينشق وإنما هذا من علامات يوم القيامة أو هو كسوف للقمر كأنه انشق.

وذاكرٌ هنا أقوال المفسرين واختلافهم والله الموفق للصواب:

- قال ابن قتيبة (ت276) وهو ينقل كلام إبراهيم النظام إمام المعتزلة في حق الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:
قال النظام: وَزَعَمَ أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ وَأَنَّهُ رَآهُ وَهَذَا مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي لَا خَفَاءَ بِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَشُقُّ الْقَمَرَ لَهُ وَحده وَلَا لآخر مَعَه وَإِنَّمَا يشقه لِيَكُونَ

آيَةً لِلْعَالَمِينَ وَحُجَّةً لِلْمُرْسَلِينَ وَمَزْجَرَةً لِلْعِبَادِ وَبُرْهَانًا فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ فَكَيْفَ لَمْ تَعْرِفْ بِذَلِكَ الْعَامَّةُ وَلَمْ يُؤَرِّخِ النَّاسُ بِذَلِكَ الْعَامِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يُسْلِمْ عِنْدَهُ كَافِرٌ وَلَمْ يَحْتَجَّ بِهِ مُسْلِمٌ عَلَى مُلْحِدٍ؟

قال ابن قتيبة: ثُمَّ طَعْنُهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ وَأَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ ثُمَّ نَسَبَهُ فِيهِ إِلَى الْكَذِبِ وَهَذَا لَيْسَ بِإِكْذَابٍ لِابْنِ مَسْعُودٍ وَلَكِنَّهُ بخسٌ لِعَلَمِ النُّبُوَّةِ وَإِكْذَابٌ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}

فَإِنْ كَانَ الْقَمَرُ لَمْ يَنْشَقَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَانَ مُرَادُهُ سَيَنْشَقُّ الْقَمَرُ فِيمَا بَعْدُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ {وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} بعقب هَذَا الْكَلَامِ؟ أَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قَوْمًا رَأَوْهُ مُنْشَقًّا فَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ مِنْ سِحْرِهِ وَحِيلَةٌ مِنْ حِيَلِهِ كَمَا قَدْ كَانُوا يَقُولُونَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَيْفَ صَارَتِ الْآيَةُ مِنْ آيَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَلَمُ مِنْ أَعْلَامِهِ لَا يَجُوزُ عِنْدَهُ أَنْ يَرَاهَا الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ والنفر دون الْجَمِيعِ.

أَوَ لَيْسَ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يُخْبِرَ الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانُ وَالنَّفَرُ وَالْجَمِيعُ كَمَا أَخْبَرَ مُكَلِّمُ الذِّئْبِ بِأَنَّ ذِئْبًا كَلَّمَهُ وَأَخْبَرَ آخَرُ بِأَنَّ بَعِيرًا شَكَا إِلَيْهِ وَأَخْبَرَ آخَرُ أَنَّ مَقْبُورًا لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ. ه

تأويل مختلف الحديث ص70 ورد ابن قتيبة ص75

قلت: معاذ الله أن نتهم الصحابة بالكذب نعم قد يحصل منهم الخطأ والغفلة أو الوهم أحياناً كما هي طبيعة البشر لكنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورد ابن قتيبة فيه مبالغات لأن رد خبر ابن مسعود ليس تكذيباً للقرآن الكريم لاسيما وقد اختلف المفسرون في معنى الآية وحدوث الانشقاق وقوله بقبول خبر الواحد مشروط بألا يخالف ما هو أقوى منه وأصح.

- وقال ابن جرير الطبري (ت310):

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِنْ يَرَ الْمُشْرِكُونَ عَلَامَةً تَدُلُّهُمْ عَلَى حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِلَالَةً تَدُلُّهُمْ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ يُعْرِضُوا عَنْهَا فَيُوَلُّوا مُكَذِّبِيْنَ بِهَا مُنْكِرِينَ أَنْ يَكُونَ حَقًّا يَقِينًا وَيَقُولُوا تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِهَا وَإِنْكَارًا لَهَا أَنْ تَكُونَ حَقًّا: هَذَا سِحْرٌ سَحَرَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ حِينَ خَيَّلَ إِلَيْنَا أَنَّا نَرَى الْقَمَرَ مُنْفَلِقًا بِاثْنَيْنِ بِسِحْرِهِ وَهُوَ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ يَعْنِي يَقُولُ

سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ذَاهِبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ مَرَّ هَذَا السِّحْرُ إِذَا ذَهَبَ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ . ه تفسير الطبري 565/22

قلت: ثم ذكر الطبري الأحاديث الواردة في الباب ثم ذكر الآثار الواردة عن التابعين في تفسير الآية بأن القمر انشق بمكة فرواه عن مجاهد وقتادة والضحاك وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري وهؤلاء خمسة من التابعين وأتباعهم وزاد الزجاجي في معاني القرآن 84/5 عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
فصاروا ستة وعامتهم ممن روى بعض الأحاديث السابق ذكرها عن بعض الصحابة.

- وقال أبو إسحاق الزجاجي (ت311):
وزعم قوم عَندُوا عَنِ القَصْدِ وما عليه أهل العلم: أنَّ تاويله أن القمر ينشق يوم القيامة والأمر بين في اللفظ وإجْماع أهلِ العلم لأن قوله: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) فكيف يكون هذا في القيامَةِ. ه معاني القرآن واعرابه 81/5

قلت: دعوى الاجماع غير صحيحة وقد صح عن عكرمة أنه كسوف وقال غيره أنه سينشق يوم القيامة.

- وقال أبو بكر الجصاص (ت370):
فإن قيل معناها سَيَنْشَقُّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ قَدْ انْشَقَّ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا خَفِيَ عَلَى أَهْلِ الْآفَاقِ قِيلَ لَهُ هَذَا فَاسِدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ خِلَافُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَحَقِيقَتِهِ وَالْآخَرُ أَنَّهُ قَدْ تَوَاتَرَ الْخَبَرُ بِهِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يَدْفَعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَأَمَّا قَوْلُهُ إنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ لَمَا خَفِيَ عَلَى أَهْلِ الْآفَاقِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَسْتُرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِغَيْمٍ أَوْ يَشْغَلَهُمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ بِبَعْضِ الْأُمُورِ لِضَرْبٍ مِنْ التَّدْبِيرِ وَلِئَلَّا يَدَّعِيَهُ بَعْضُ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي الْآفَاقِ لِنَفْسِهِ فَأَظْهَرَهُ لِلْحَاضِرَيْنِ عِنْدَ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيَّاهُمْ واحتجاجه عليهم. ه
أحكام القرآن ط. العلمية 552/3

قلت: دعوى التواتر غير صحيحة كما سبق بيانه وانشقاق القمر آية عظيمة لو كانت على حقيقتها لرآها الناس من مختلف البلدان وليس في

الرواية أن الله ستره بغيم أو شغل الناس عنه فهذه كلها افتراضات وتخيلات للتبرير والتأويل لا غير.

- وقال أبو سليمان الخطابي (ت388):
وقد أنكر هذا الخبر منكرون وقالوا: لو كان له حقيقة لم يجز أن يخفى أمره على عوامِّ الناس ولتواترت به الأخبار عن قرن إلى قرن لأنه أمر مصدره عن حسٍّ ومشاهدة فالناس فيه شركاء وهم مطالبون بفطر العقول ومن جهة دواعي النفوس بذكر كل أمر عجيب ونقل كل خبر غريب فلو كان لما روي من ذلك أصلٌ لكان قد خُلِّد ذكره في الكتب ودوِّن في الصحف ولكان أهل السِّير وأهل التنجيم والحفظة على الأزمان وأهل العناية بالتاريخ يعرفونه ولا ينكرونه إذ كان لا يجوز الإطباق منهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه وجلاء أمره.
والجواب: أن الأمر في هذا خارج عمَّا ذهبوا إليه من قياس الأمور النادرة الغريبة إذا ظهرت لعامّة الناس واستفاض العلم بها عندهم وذلك أن هذا شئٌ طلبه قوم خاصٌّ من أهل مكة على ما رواه أنس بن مالك فأراهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ليلاً لأن القمر آية الليل ولا سلطان له بالنهار وأكثر الناس في الليل تنام ومُستكنُّون بأبنية وحجب والأيقاظ البارزون منهم في البوادي والصَّحارى قد يتفق أن يكونوا في ذلك الوقت مشاغيل بما يُلهيهم من سمر وحديث وبما يهمّهم من شغل ومهنة ولا يجوز أن يكونوا لا يزالون مقنعي رؤوسهم رافعين لها إلى السماء مترصِّدين مركز القمر من الفلك لا يغفلون عنه حتى إذا حدث بجرم القمر حدثٌ من الإنشقاق أبصروه في وقت انشقاقه قبل التئامه واتِّساقه وكثيراً ما يقع للقمر الكسوف فلا يشعر به الناس حتى يخبرهم الآحاد منهم والأفراد من جماعتهم وإنما كان ذلك في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ولو أحبّ الله أن تكون معجزات نبيّه عليه السلام أموراً واقعةً تحت الحسِّ قائمةً للعيان حتى يشترك في معاينته الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكنه سبحانه قد جرت سُنَّته بالهلاك والاستئصال في كل أمّة أتاها نبيُّها بآيةٍ عامة يُدركها الحسُّ فلم يؤمنوا بها وخصَّ هذه الأمة بالرحمة فجعل آية نبيها التي دعاهم إليها وتحدَّاهم بها عقليَّة وذلك لما أُتوُه من فضل العقول وزيادة الأفهام ولئلا يهلكوا فيكون سبيلهم سبيل من هلك من سائر الأمم المسخوط عليهم المقطوع دابرهم فلم يبق لهم عين ولا أثرٌ والحمد لله على لطفه بنا وحسن نظره لنا وصلى الله على نبيه المصطفى وعلى آله وسلم كثيراً.ه

أعلام الحديث للخطابي 1618/3: 1620 وبنحوه قاله البغوي في شرح السنة 288/13-289

قلت: نعم هذه آية عظيمة لو حدثت لتناقلها الناس من مختلف البلدان ! وادعاء أن الناس لم يروها لأنهم نيام أو قد يكونوا مشاغيل وقد وقد.. الى آخر هذه التأويلات المتكلفة التي لا تفيد شيئاً في الحقيقة.
وهل الناس كلهم نيام ؟! فأين الحراس والجنود وأين العمال في المدن والعواصم وأين علماء الفلك ورصد النجوم في فارس والروم وأين أهل السهر والليل وأين المسافرون في مختلف البلدان وأين وأين .. ؟
نامت البشرية كلها أو انشغلت فلم يبق إلا من ذكروا في الحديث ؟!

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (184/7) أن هذا كان في أول الليل وهو ظاهر الرواية وهذا وقت أغلب الناس فيه منتبهين لم يناموا بعد.

وقوله بأن الانشقاق في قدر اللحظة ادعاء لا دليل عليه وبعض العلماء ذكر مدة أطول من ذلك ولو سلمنا بوقوع الانشقاق فلا بد أن يظل حتى تتحقق منه العين ويدركه البصر حتى تتم الحجة ويبطل معها ادعاء الوهم أو التخييل وهذا القدر يمكن أن يكون في فترة زمنية قصيرة لكنها كافية كي يراها الناس من مختلف البلدان.
وقد جاء في حديث ابن مسعود عند البخاري 4864 (انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً فَوْقَ الجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ) وعند البخاري أيضاً 3868 من حديث أنس (فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا)
وهذا انشقاق عظيم ملحوظ بلا شك !

وقد جرت سنة الله سبحانه بانزال العذاب على من رأى المعجزات ولم يؤمن فلو رأى أهل مكة القمر ينشق ثم لم يؤمنوا لأنزل الله عليهم العذاب دون عامة الناس والعذاب ينزل على من شاهد فلم يؤمن ولا عبرة بالعدد أو التفريق بين العامة والخاصة ونحو هذا الكلام الذي هو تكلف في التأويل ولا دليل عليه.

- وقال الثعلبي (ت427):

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ دنت القيامة وَانْشَقَّ الْقَمَرُ قال ابن كيسان: في الآية تقديم وتأخير مجازها: انْشَقَّ الْقَمَرُ واقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ يدل عليه قراءة حذيفة (اقتربت الساعة وقد انشق القمر) وروى عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه (وسينشقّ القمر) والعلماء على خلافه والأخبار الصحاح ناطقة بأن هذه الآية قد مضت. ه
(تفسير الثعلبي 160/9)

قلت: قراءة حذيفة من وجوه القراءات الشاذة كما قال ابن جني في المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (297/2) ولعله مأخوذ من خطبة حذيفة بالمدائن فقال: قد اقتربت الساعة وقد انشق القمر.
وهذه ليست قراءة وإنما جزء من كلامه في خطبة الجمعة

قال الشيخ محمد رشيد رضا: وقد روى ابن المنذر أنه أي حذيفة قرأ (وقد انشق القمر) والرواية تدل على أن هذا خطأ فإنه قرأ الآية في خطبته كما رواها القراء بالتواتر ثم قال: ألا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق وهذا من كلامه على أنه تفسير على أن أمثال هذه الروايات الآحادية الغريبة لا يثبت بها القرآن بل لا بد من تواتره. ه مجلة المنار 261/30

- وقال ابن السمعاني (ت489):
فَإِن قيل ابْن عَبَّاس لم يكن رأى انْشِقَاق الْقَمَر فَكيف تصح رِوَايَته؟ وَأما ابْن مَسْعُود فقد تفرد بِهَذِهِ الرِّوَايَة وَلَو كَانَ قد انْشَقَّ الْقَمَر لرواه جَمِيع أَصْحَاب رَسُول الله وَأَيْضًا لَو كَانَ ثَابتا لرواه جَمِيع النَّاس ولأرخوا لَهُ تَارِيخا لأَنهم قد أَرخُوا مَا دون هَذَا من الْحَوَادِث وَإِنَّمَا معنى الْآيَة انْشَقَّ الْقَمَر أَي ينشق وَذَلِكَ يَوْم الْقِيَامَة وَيُقَال: معنى انْشَقَّ الْقَمَر أَي انكسف.
وَالْجَوَاب: أَنه قد ثَبت انْشِقَاق الْقَمَر بالرواية الصَّحِيحَة رَوَاهُ ابْن مَسْعُود وَجبير بن مطعم شَهدا بِالرُّؤْيَةِ وَرَوَاهُ ابْن عَبَّاس وَابْن عمر وَأنس وروى بَعضهم عَن بَعضهم عَن عبد الله بن عَمْرو وَمن الْمُحْتَمل أَنه رُوِيَ عَن رُؤْيَة وَقد كَانَ ابْن مَسْعُود روى هَذَا عَن رُؤْيَته وَلم يُنكر عَلَيْهِ أحد من الصَّحَابَة فَكَانَ ذَلِك اتِّفَاقًا مِنْهُم ثمَّ الدَّلِيل الْقَاطِع على ثُبُوته الْآيَة.
وَقَوله إِن مَعْنَاهُ سينشق الْقَمَر قُلْنَا: هَذَا عدُول عَن ظَاهر الْآيَة وَلَا يجوز إِلَّا بِدَلِيل قَاطع وَلِأَن الله تَعَالَى قَالَ {وَإِن يرَوا آيَة يعرضُوا وَيَقُولُوا سحر

مُسْتَمر} وَهَذَا دَلِيل على أَنهم قد رأوها وَلِأَنَّهُ سَمَّاهُ آيَة وَإِنَّمَا يكون آيَة إِذا كَانَت فِي الدُّنْيَا لِأَن الْآيَة هَاهُنَا بِمَعْنى الدّلَالَة وَالْعبْرَة
وَقَوله: إِن النَّاس لم يرَوا قُلْنَا: يحْتَمل أَنه كَانَ فِي زمَان غَفلَة النَّاس أَو تستر عَنْهُم بغيم وَقد رد الله تَعَالَى الشَّمْس ليوشع بن نون وَلم ينْقل أرخ لذَلِك أَيْضا وَقد ذكر فِي بعض التفاسير أَن أهل مَكَّة قَالُوا سحرنَا ابْن أبي كَبْشَة فَقَالَ بَعضهم سلوا السفار الَّذين يقدمُونَ فَإِنَّهُ إِن كَانَ سحرنَا فَلَا يقدر أَن يسحر جَمِيع النَّاس فَقدم السفار وسألوهم وأخبروا أَنهم قد رَأَوْا. ه تفسير السمعاني (307/5)

قلت: كذا قال (عبد الله بن عمرو) وصوابه عبد الله بن عمر بن الخطاب كما بينته في تخريج الأحاديث وهو لم يشهد الحادثة والاسناد إليه فيه نظر.
وأما جبير بن مطعم فلا تصح الرواية إليه بل هي منكرة كما سبق بيانه فالأمر في حقيقته وأصله يدور على عبد الله بن مسعود ونعم قد تفرد بهذه الرواية.

وأما قول بعضهم (سلوا السفار) فسبق تخريجه وبيان أنها رواية شاذة لا تصح في خبر ابن مسعود وإن صحت فهو استدلال بما في نفس الرواية وليس من شواهد خارجة عنها تؤيدها.
وسبق الرد على الاحتمالات التي افترضها الامام في تبرير ادعاء حدوث آية عظيمة الأثر بلا أي أثر !

- وقال القرطبي (ت671):
وَقَدْ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْآحَادِ الْعُدُولِ أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ بِمَكَّةَ وَهُوَ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَسْتَوِيَ النَّاسُ فِيهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آيَةً لَيْلِيَّةً وَأَنَّهَا كَانَتْ بِاسْتِدْعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ التَّحَدِّي. ه (تفسير القرطبي (126/17)

قلت: قد أحسن القرطبي إذ وصف الخبر بأنه نقل الآحاد وليس بالتواتر إذ التواتر دعوى تخالف واقع الرويات وسيأتي بيان أن هذا الخبر يناقض آيات القرآن صريحة الدلالة بالامتناع عن حدوث مثل هذه الآيات في حق النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

- وقال نظام الدين النيسابوري (ت850):
في الصحيحين عن أنس أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وعن ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا قول أكثر المفسرين وعن بعضهم أن المراد سينشق القمر وصيغة الماضي على عادة إخبار الله وذلك أن انشقاق القمر أمر عظيم الوقع في النفوس فكان ينبغي أن يبلغ وقوعه حد التواتر وليس كذلك وأجيب بأن الناقلين لعلهم اكتفوا بإعجاز القرآن عن تشهير سائر المعجزات بحيث يبلغ التواتر. ه تفسير النيسابوري (216/6)

قلت: سبق القول بأن الآية لو كانت قطعية الدلالة على انشقاق قد وقع فهي في نفسها حجة وإنما النزاع في أن دلالتها ليست ظاهرة وإنما هي من علامات الساعة كما سيأتي وسبق الكلام على خطبة حذيفة وأن الغرض منها الوعظ والترهيب بقرب مجيء الساعة وأشراطها.

- وقال الحافظ ابن حجر (ت852):
ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ القدماء أن المُرَاد بقوله وَانْشَقَّ الْقَمَر أَيْ سَيَنْشَقُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى أَتَى أَمر الله أَيْ سَيَأْتِي وَالنُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ إِرَادَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي تَحَقُّقِ وُقُوعِ ذَلِكَ فَنُزِّلَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَصَحُّ كَمَا جَزَمَ بِهِ ابن مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةُ وَغَيْرُهُمَا وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِر فَإِنَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ وَانْشَقَّ الْقَمَر وُقُوعُ انْشِقَاقِهِ لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا تَبَيَّنَ وُقُوعُ الِانْشِقَاقِ وَأَنَّهُ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا سحر وَوَقع ذَلِك صَرِيحًا فِي حَدِيث بن مَسْعُودٍ كَمَا بَيَّنَّاهُ قَبْلُ. ه (فتح الباري 186/7)

قلت: هذه بعض أقوال المفسرين الذين فسروا الآية بأنها معجزة وقعت وأن القمر انشق على الحقيقة

وذهب بعض المفسرين إلى أن تفسير قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) هو من علامات يوم القيامة وليس المراد منه حادثة انشقاق القمر التي جاءت في الأخبار المروية عن بعض الصحابة الكرام.

وقد نقل أهل العلم هذا الخلاف واختاره بعض المفسرين:

- قال أبو منصور الماتريدي (ت333):
قال بعضهم: أي اقتربت الساعة واقترب انشقاق القمر وقيل على التقديم والتأخير اقتربت الساعة وإن يروا آية يعرضوا وإن كان انشقاق القمر. فعلى هذين التأويلين لم يكن انشقاق القمر بعد ولكن يكون في المستقبل وعند قيام الساعة وهو قول أبي بكر الأصم ويقول: معنى قوله (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) أي سينشق القمر عند الساعة إذ لو كان قد انشق في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لَمَا خفي على أهل الآفاق ولو كان ظاهرا عندهم لتواتر النقل به إذ هو أمر عجيب والطباع جبلت على نشر العجائب.
وعامة أهل التأويل على أن القمر قد انشق فكان من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وروي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بمنى فانشق القمر فذهبت فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام: اشهدوا اشهدوا. وروي عن غيره أيضًا: عن عبد اللَّه بن عمر وعبد اللَّه بن عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهم وأنس بن مالك وحذيفة وجبير بن مطعم في جماعة من الصحابة رضوان اللَّه عليهم أجمعين: أنهم رأوا انشقاق القمر.
وقول أبي بكر: لو كان لم يخْفَ وظهر فيقال له: قد ظهر فإنه روي عن غير واحد من الصحابة رضي اللَّه عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعام وفشا الأمر بينهم حتى قل من يخفى عليه سماع هذا الحديث على أنه قد يطلق ظاهر الكتاب وإنما يكلف حفظ ما لم ينطق به الكتاب والعمل بحقيقة اللفظ واجب. ه تفسير الماتريدي 441/9

- وقال أبو الحسن الماوردي (ت450):
{وَانشَقَّ الْقَمَرُ} فيه ثلاثة أقاويل أحدها:
معناه وضح الأمر وظهر والعرب تضرب مثلاً فيما وضح أمره قال الشاعر:
(أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل)
(فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وأرحل)
والثاني: أن انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة الجعدي:

(فلما أدبروا ولهم دوي ... دعانا عند شق الصبح داعي)
الثالث: أنه انشقاق القمر على حقيقة انشقاقه وفيه على هذا التأويل قولان: أحدهما: أنه ينشق بعد مجيء الساعة وهي النفخة الثانية قاله الحسن قال: لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رأه لأنها آية والناس في الآيات سواء الثاني: وهو قول الجمهور وظاهر التنزيل أن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقال: {وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ} فيه وجهان: أحدهما: أنه أراد أي آية روأها أعرضوا عنها ولم يعتبروا بها وكذلك ذكرها بلفظ التنكير دون التعريف قاله ابن بحر الثاني: أنه عنى بالآية انشقاق القمر حين رأوه. ه
تفسير الماوردي 409/5

قلت: الوجه الأول في تفسير قوله (وَإِنْ يَرَوْا) أصح وله نظائر من القرآن كمثل قوله (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا) وقوله (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) وسيأتي كلام الشيخ محمد رشيد رضا في بيانه على التفصيل.

- وقال أبو المعالي الجويني (ت478):
فأما انشقاق القمر فذهب بعض علماء الإسلام إلى أن معنى قوله تعالى {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} أنه سينشق عند قيام الساعة وشهد لذلك ذكره مقترنا باقتراب الساعة والشيء إذا تناهى قربه يقام الماضي فيه مقام المستقبل قال الله تعالى {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} معناه سيأتي أمر الله وقد مال الحليمي إلى هذا المذهب ويمكن أن يقال انشقاق القمر آية ليلية لعله جرى والخلق نيام والمتيقظون في أكنان لا يترقبون القمر وإن لحظه لاحظ وفاقا فغير بدع أن يحمله على تشعب في أشعة البصر وانعراج عن الاستداد فهذا وجه التكلف فيه فإن وقع الانشقاق فلا محل لعدم الشيوع فيه إلا ما ذكرناه والتعويل على ما سبق من أن الأمر الضروري لا تخرمه التخييلات. ه
البرهان في أصول الفقه 226/1

- وقال بيان الحق الغزنوي (ت بعد 553):
قال الحسن أي ينشق فجاء على صيغة الماضي وهي للمستقبل إما لتحقيق أمره ووجوب وقوعه أو لتقارب وقته أو لأن المعنى مفهوم أنه في المستقبل فلا يلتبس وعلى هذا نظائر هذا القول كقوله (وإذ قال الله يا

عيسى ابن مريم) وقوله (ونادى أصحاب الجنة) وغيرهما قال الحطيئة: شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر. والذي يدل على هذا القول أنه لو انشق لما بقي أحد إلا رآه وقال القاضي الماوردي وهذا على طريق الاستعارة والمثل لوضوح الأمر كما يقال في الأمثال: الليل طويل وأنت مقمر. ه
(باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن- أول سورة القمر)

- وقال العز ابن عبد السلام (ت660):
{وَانشَقَّ الْقَمَرُ} اتضح الأمر وظهر يضربون المثل بالقمر فيما وضح وظهر أو انشقاقه انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما سمي الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه أو ينشق حقيقة بعد النفخة الثانية أو انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الجمهور قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء فقالوا سحر القمر. ه
(تفسير القرآن للعز ابن عبد السلام 254/3)

- وقال القرطبي (ت671):
وَقَالَ قَوْمٌ لَمْ يَقَعِ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ بَعْدُ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ أَيِ اقْتَرَبَ قِيَامُ السَّاعَةِ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ وَأَنَّ السَّاعَةَ إِذَا قَامَتِ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ وَكَذَا قَالَ الْقُشَيْرِيُّ وَذَكَرَ الْمَاوَرْدِيُّ أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَقَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا انْشَقَّ مَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا رَآهُ لِأَنَّهُ آيَةٌ وَالنَّاسُ فِي الْآيَاتِ سَوَاءٌ وَقَالَ الْحَسَنُ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ فَإِذَا جَاءَتِ انْشَقَّ الْقَمَرُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ وَقِيلَ (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) أَيْ وَضَحَ الْأَمْرُ وَظَهَرَ وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِالْقَمر مثَلًا فِيما وَضَح. ه (تفسير القرطبي 126/17)

قلت: ذكر الماوردي في تفسيره أن قول الجمهور هو وقوع الانشقاق وليس العكس وسبق نقل كلامه.

- وقال الحافظ ابن حجر(ت852):
ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ القدماء أن المُرَاد بقوله وَانْشَقَّ الْقَمَر أَيْ سَيَنْشَقُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى أَتَى أَمر الله أَيْ سَيَأْتِي وَالنُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ إِرَادَةُ

الْمُبَالَغَةِ فِي تَحَقُّقِ وُقُوعِ ذَلِكَ فَنُزِّلَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ. ه (فتح الباري 186/7 وسبق نقله بتمامه)

- وقال السيد محمد رشيد رضا (ت1354):
وقد زعم الآلوسي وغيره أن قوله تعالى {وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} حجة على أن المراد بالآية انشقاق القمر ولو كان كذلك لقال: فأعرضوا وقالوا سحر مستمر وأما الشرط فللاستقبال أو لبيان الشأن ولا علاقة بين انشقاق القمر ودعوى النبوة فيكون آية عليها ولفظ الآية يُطلق في القرآن على كل ما يدل على وجود الله ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته وقدرته ورحمته وحكمته وعلى ما يؤيد به رسله وأكثر ما يذكر فيه الإعراض عن الآيات في القرآن يُراد به هذه الدلائل أو آيات القرآن كقوله تعالى في النوع الأول {وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} وقوله في النوع الثاني {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}
وأما قولهم {سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} فأول ما قالوه في القرآن وهو ما حكاه عنهم في سورة المدثر {إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ} وهي ثالث سورة نزلت بمكة أو الرابعة على القول بأن الفاتحة أول ما نزل وفي معناها آية سبأ {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} وآية الزخرف {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ}
وإنك لترى أوائل سورة الأنبياء بمعنى أوائل سورة القمر وهي {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}.

وقال رحمه الله: العلماء الذين تساهلوا بقبول روايات انشقاق القمر وجعلها آية كونية حسية جعلت حجة على كفار مكة عندما اقترحوها وتمحلوا في الأجوبة عن الاعتراضات العقلية الأصولية عليها فجاءوا بما لا يقبله العاقل المستقل إنما حملهم على ذلك حب تكثير المعجزات النبوية كما تقدم وتفنيد منكريها لأن العوام يفهمون من إعجازها ما لا يفهمون من إعجاز القرآن وقد تغيرت الحال في هذا الزمان الذي كثر فيه استقلال الفكر ورفض التقليد في أكثر المتعلمين فصارت هذه الروايات تعد طعنًا في علم المسلمين وعلمائهم ويخشى أن تعد طعنًا في الإسلام نفسه، والحق أنها ليست من أصول الإسلام ولا من فروعه فأصول العقائد

الإسلامية لا تثبت إلا بدليل قطعي وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين والدليل القطعي إما عقلي وإما نقلي والنقلي هو النص القطعي الدلالة عن الله ورسوله والآية ليست قطعية الدلالة على كون الانشقاق هو صيرورة القمر فلقتين منفصلة إحداهما عن الأخرى كما اعترف بذلك الذين فسروها بذلك وآخرهم الآلوسي وقد بيَّنا نحن أن دلالتها على ما ذكر مرجوحة فما كانت لتخطر على بال أحد لولا تلك الرواية المنقوضة بنص القرآن والحديث المرفوع المتفق عليه. وسائر الروايات ليس فيها شيء يصلح لتفسير الآية به إلا من وجه بعيد لا يعد نصًّا ولا ظاهرًا فيه وهو عد انشقاق القمر من علامات قرب الساعة بالتتبع للآيات في انشقاق السماء وانفطار الكواكب أو الدخول في عموم الثاني إذ لم يذكر القمر في آيات الساعة إلا في قوله تعالى {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}... إلخ. ه (مجلة المنار 361/30)

- وقال أحمد مصطفى المراغي (ت1371):
والذي يدل على أن هذا إخبار عن حدث مستقبل لا عن انشقاق ماض أمور:

(1) إن الإخبار بالانشقاق أتى إثر الكلام على قرب مجيء الساعة والظاهر تجانس الخبرين وأنهما خبران عن مستقبل لا عن ماض.

(2) إن انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامة التي لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم ولبلغ حدا لا يمكن أحدا أن ينكره وصار من المحسوسات التي لا تدفع ولصار من المعجزات التي لا يسع مسلما ولا غيره إنكارها.

(3) ما ادعى أحد من المسلمين إلا من شذ أن هذه معجزة بلغت حد التواتر ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادا بل كانوا لا يعدّون كثرة.

(4) إن حذيفة بن اليمان وهو ذلكم الصحابي الجليل خطب الناس يوم الجمعة فى المدائن حين فتح الله فارس فقال: ألا إن الله تبارك وتعالى يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر ألا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة. فهذا الكلام من حذيفة فى معرض قرب مجيء الساعة وتوقع أحداثها لا فى كلام عن

أحداث قد حصلت تأييدا للرسول وإثباتا لنبوته لأن ذلك كان فى معرض العظة والاعتبار.
وبعد أن ذكر قرب مجيء الساعة وكان ذلك مما يستدعى انتباههم من غفلتهم والتفكير فى مصيرهم والنظر فيما جاءهم به الرسول من الأدلة المثبتة لنبوته والمؤيدة لصدقه لكنهم مع كل هذا ما التفتوا إلى الداعي لهم إلى الرشاد والهادي لهم إلى سواء السبيل بل أعرضوا وتولوا مستكبرين كما قال: (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) أي وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوتك وترشدهم إلى صدق ما جئت به من عند ربك يعرضوا عنها ويولوا مكذبين بها منكرين أن يكون ذلك حقا ويقولوا تكذيبا منهم بها: هذا سحر سحرنا به محمد وهو يفعل ذلك على مرّ الأيام. وفى هذا إيماء إلى ترادف الآيات وتتابع المعجزات. ه تفسير المراغي (77/27)

- وقال الطاهر بن عاشور (ت1393):
وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ شَاهِدَةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِظُهُورِ آيَةٍ كُبْرَى وَمُعْجِزَةٍ مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ مُعْجِزَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ فَفِي صَحِيح الْبُخَارِيّ وجَامع التِّرْمِذِيّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ زَادَ التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ فِرْقَتَيْنِ فَنَزَلَتِ: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ إِلَى قَوْلِهِ: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ.

ثم قال: وَظَاهِرُ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ لِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ حُصُولِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ الْوَاقِعِ بِمَكَّةَ لَمَّا سَأَلَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً أَوْ سَأَلُوهُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ وَإِنَّمَا هُوَ انْشِقَاق يحصل عِنْد حُلُول السَّاعَةِ. وَرُوِيَ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ وَعَطَاءٍ وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْخُسُوفِ فِي سُورَةِ الْقِيَامَةِ (فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ) الْآيَةَ. وَهَذَا لَا يُنَافِي وُقُوعَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ الَّذِي سَأَلَهُ الْمُشْرِكُونَ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ الْمُرَادِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَكِنَّهُ مُؤَوَّلٌ بِمَا فِي رِوَايَتِهِ عِنْدَ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ وَلِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ.
وَعَلَى جَمِيعِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ فَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ الَّذِي هُوَ مُعْجِزَةٌ حَصَلَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ اللِّزَامُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَالْقَمَرُ وَالدُّخَانُ وَعَنِ الْحَسَنِ وَعَطَاءٍ أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ يَكُونُ

عِنْدَ الْقِيَامَةِ وَاخْتَارَهُ الْقُشَيْرِيُّ وَرُوِيَ عَنِ الْبَلْخِيِّ وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَلَا يُعْرَفُ ذَلِكَ لِلْجُمْهُورِ..

ثم قال في قوله (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً): يجوز أَن يَكُونَ تَذْيِيلًا لِلْإِخْبَارِ بِانْشِقَاقِ الْقَمَرِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ ب آيَةً فِي قَوْلِهِ: وَإِنْ يَرَوْا آيَةَ الْقَمَرَ...
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا مِنْ ذِكْرِ أَحْوَالِ تَكْذِيبِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ وُقُوعَ آيَةً وَهُوَ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ يُفِيدُ الْعُمُومَ وَجِيءَ بِهَذَا الْخَبَرِ فِي صُورَةِ الشَّرْطِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا دَيْدَنُهُمْ وَدَأْبُهُمْ.
وَضَمِيرُ يَرَوْا عَائِدٌ إِلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ فِي الْكَلَامِ دَالٍّ عَلَيْهِ الْمَقَامِ وهم الْمُشْرِكُونَ كَمَا جَاءَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّ قِصَّةَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَطَعْنِهِمْ فِيهَا مَشْهُورٌ يَوْمَئِذٍ مَعْرُوفَةٌ أَصْحَابُهُ فَهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَيْهِ كُلَّمَا رَأَوْا آيَةً عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ه
التحرير والتنوير (167-168-172/27)

قلت: خلاصة ما ذهب إليه ما الطاهر ابن عاشور أن الآية الكريمة لا تدل على حدوث معجزة انشقاق القمر وإنما هي من علامات الساعة وأنه لابد من الفصل بين دلالة الأحاديث على حدوث معجزة انشقاق القمر وتفسير الآية الكريمة بأن ذلك من علامات يوم القيامة.
وما ذهب إليه في تفسير الآية هو المؤيد من الآيات الأخرى كمثل قوله تعالى (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ) وهي بنفس المعنى والمراد يوم القيامة.

إلا أن ههنا ملاحظتان:

الأولى: قوله أن الآية نزلت قبل الحادثة وعزاه لبعض طرق الحديث ففيه نظر إذ جاء الربط بين الآية وحادثة الانشقاق في بعض طرق حديث أنس عند أبي يعلى الموصلي 2930 عن أنس في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر قال: قد انشق زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثانية: أثبت الشيخ حادثة انشقاق القمر بعيداً عن الآية وإنما من أجل الأحاديث المشهورة المستفيضة عن الصحابة كما هي عبارته في موضع آخر وقد سبق بيان أن أصل القصة على التحقيق رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فهي من باب خبر الواحد.

وفيما سبق من نقل أقوال المفسرين فوائد منها:

1- اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر)

2- أكثر المفسرون على أن القمر انشق على الحقيقة معجزة للنبي.

3- ذهب بعض المفسرين إلى أن الانشقاق في الآية معناه الكسوف كسف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سحر القمر قاله عكرمة.

4- ذهب بعض المفسرين إلى أن الانشقاق في الآية هو من علامات الساعة ولم يحدث في عهد النبي قاله جماعة من المفسرين وروي عن الحسن وعطاء ولم أطلع على روايتهم مسندة وقال ابن حجر (ذهب بعض أهل العلم من القدماء أن المراد بقوله وانشق القمر أي سينشق) وكذا نقله الماوردي والجويني والقرطبي وغيرهم من أهل التفسير.

5- السبب الرئيسي في ذهاب الجمهور لتفسير الآية بانشقاق قد وقع هي المرويات المنسوبة لجماعة من الصحابة حتى ظن البعض أنها متواترة وليست كذلك وإنما هي من باب خبر الواحد.

6- الظاهر من الآية أنها تتحدث عن اقتراب الساعة وعلاماتها كما في قوله (فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ) (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ) ونحوها من الآيات التي تتكلم عن علامات الساعة الكونية وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا

أما القول بأن الآية تتحدث عن انشقاق وقع فليس لهذا المعنى أي نظائر في القرآن ولا في آياته أي شواهد تشهد لوقوع مثل هذا الحدث المعجز الذي لو حدث لتفاخر به القرآن على سائر معجزات الأنبياء إذ هو أعظم وأظهر في اقامة الحجة واظهار عظيم قدرة الله في خلقه.

7- قوله (وَانْشَقَّ الْقَمَر) جاءت بصيغة الماضي للمبالغة في تحقق وقوع الأمر فنزل منزلة الواقع تأكيداً لوقوعه كما في قوله (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا

تَسْتَعْجِلُوهُ) وأمر الله لم يأت ولكنه آت لا محالة لذا قال (فَلَا تَسْتَعْجِلُوه) أي اصبروا وانتظروا وقت حدوثه
ولهذا نظائر كثيرة في القرآن كقوله (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ) وكلها أحداث مستقبلية ذكرت بصيغة الماضي لتأكيد وقوعها.

8- قوله (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) ليست صريحة الدلالة على أن ما قبلها آية وقعت بل تأتي أيضاً للاستقبال أو لبيان الشأن وتكون الجملة مستأنفة من ذكر أحوال المشركين وتكذيبهم ومكابرتهم كما في قوله (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) وقوله (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا) وكل هذه الآيات ليس في سياقها حدوث آية أو معجزة وإنما وردت في سياق مجادلة المخالفين وبيان كفرهم وعنادهم وآيات القرآن يفسر بعضها بعضاً.
وقال الطاهر ابن عاشور: وعلى كلا الوجهين فإن وقوع آيةً وهي نكرة في سياق الشرط يفيد العموم وجيء بهذا الخبر في صورة الشرط للدلالة على أن هذا ديدنهم ودأبهم.

9- تفسير الآية بأنها من علامات الساعة له نظائر في القرآن الكريم أما تفسيرها بانشقاق وقع فليس له نظائر بل نص القرآن صراحة في غير موضع بامتناع حدوث مثل هذه الآيات في حق النبي الخاتم كما في قوله (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) وقوله (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وسيأتي بيانه وتفصيله.

10- ذكر رشيد رضا أن دلالة الآية على حدوث انشقاق للقمر في عهد النبي ما كانت لتخطر على بال أحد لولا تلك الرواية المنقوضة بنص القرآن والحديث المرفوع المتفق عليه.

وأشار السيد رشيد رضا إلى أن كثيراً من المفسرين ما صرفهم عن هذا التفسير إلا اغترارهم بكثرة الروايات في كون الانشقاق كان آية معجزة اقترحها الكفار فأجيبوا إليها ومنشأ ذلك توهم التواتر وعدم التحقق من كون الحديث من أخبار الآحاد ولم يبلغ حد التواتر وكونه مع هذا معارَضًا

بنصوص القرآن القطعية وما يؤيدها من الأحاديث المسندة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كون آيته التي جعلها الله تعالى حجة نبوته وأمره بالتحدي بها في جملتها تارة وبعشر سور مثله وبسورة من مثله وبالاحتجاج ببعض ما اشتملت عليه تارات أخرى هي القرآن وحده وما كان صلى الله عليه وسلم يرجو بهذا أن يكون أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة إلا لأن هذه الآية أعظم وأظهر وأبهر من كل آيات الأنبياء إجمالاً وتفصيلاً وأشد جذباً إلى الايمان. ه
انظر مجلة المنار 361/30 مع تصرف وتعديل في بعض الجمل

فإن قيل: قد بينت أن الأظهر في الآية أنها تتكلم عن علامات الساعة وأن الأحاديث الواردة لم تبلغ التواتر وإنما هي من باب خبر الواحد أليس خبر الواحد حجة عند عامة أهل العلم ومقبول ومعمول به طالما صح اسناده ؟
أليس رواية الصحابي الواحد للخبر عن رسول الله كافية في قبوله وتصديقه ؟

فالجواب: أن خبر الواحد مقبول ومعمول به ورواية الصحابي الواحد للخبر عن رسول الله كافية في قبوله وتصديقه والحمد لله
ولكن هذا مشروط بألا يخالف الخبر ما هو أقوى منه وأصح كما تقرر عند علماء الأصول أن خبر الواحد ما لم يبلغ حد التواتر لا يعمل به إذا تعارض مع نص قطعي
وذلك لاحتمال الخطأ والوهم من الراوي ولا عصمة في ذلك لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعارض الظن القطع.

قال الامام الشاطبي: وَأَمَّا الثَّالِثُ: وَهُوَ الظَّنِّيُّ الْمُعَارِضُ لِأَصْلٍ قَطْعِيٍّ وَلَا يَشْهَدُ لَهُ أَصْلٌ قَطْعِيٌّ فَمَرْدُودٌ بِلَا إِشْكَالٍ وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَمْرَانِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِأُصُولِ الشريعة وَمُخَالِفُ أُصُولِهَا لَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا وَمَا لَيْسَ مِنَ الشَّرِيعَةِ كَيْفَ يُعَدُّ مِنْهَا؟
وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَا يَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ وَمَا هُوَ كَذَلِكَ سَاقِطُ الِاعْتِبَارِ وَقَدْ مَثَّلُوا هَذَا الْقِسْمَ فِي الْمُنَاسِبِ الْغَرِيبِ بِمَنْ أَفْتَى بإيجاب شهرين متتابعين ابْتِدَاءً عَلَى مَنْ ظَاهَرَ مِنَ امْرَأَتِهِ وَلَمْ يَأْتِ الصِّيَامُ فِي الظِّهَارِ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقَبَةً.
وَهَذَا الْقِسْمُ عَلَى ضَرْبَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ مُخَالَفَتُهُ لِلْأَصْلِ قَطْعِيَّةً فَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهِ وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ ظَنِّيَّةً إِمَّا بِأَنْ يَتَطَرَّقَ الظَّنُّ مِنْ جِهَةِ الدَّلِيلِ

الظَّنِّيِّ وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ كَوْنِ الْأَصْلِ لَمْ يَتَحَقَّقْ كَوْنُهُ قَطْعِيًّا وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَجَالٌ لِلْمُجْتَهِدِينَ وَلَكِنَّ الثَّابِتَ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ مُخَالَفَةَ الظَّنِّيِّ لِأَصْلٍ قَطْعِيٍّ يُسْقِطُ اعْتِبَارَ الظَّنِّيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَهُوَ مِمَّا لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ.

ثم قال بعد ذلك: وَلِلْمَسْأَلَةِ أَصْلٌ فِي السَّلَفِ الصَّالِحِ فَقَدْ رَدَّتْ عَائِشَةُ حَدِيثَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عليه بهذا الأصل نفسه لِقَوْلِهِ تَعَالَى {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} وردَّتْ حَدِيثَ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَبِّهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} وَإِنْ كَانَ عِنْدَ غَيْرِهَا غَيْرَ مَرْدُودٍ لِاسْتِنَادِهِ إِلَى أَصْلٍ آخَرَ لَا يُنَاقِضُ الْآيَةَ وَهُوَ ثُبُوتُ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ بِأَدِلَّةٍ قُرْآنِيَّةٍ وَسُنِّيَّةٍ تَبْلُغُ الْقَطْعَ وَلَا فَرْقَ فِي صِحَّةِ الرُّؤْيَةِ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
وردَّتْ هِيَ وَابْنُ عَبَّاسٍ خَبَرَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي غَسْلِ الْيَدَيْنِ قَبْلَ إِدْخَالِهِمَا فِي الْإِنَاءِ اسْتِنَادًا إِلَى أَصْلٍ مَقْطُوعٍ بِهِ وَهُوَ رَفْعُ الْحَرَجِ وَمَا لَا طَاقَةَ بِهِ عَنِ الدِّينِ فلذلك قالا فكيف يصنع بالمهراس ؟
وَرَدَّتْ أَيْضًا خَبَرَ ابْنِ عُمَرَ فِي الشُّؤْمِ وَقَالَتْ: إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنْ أَقْوَالِ الْجَاهِلِيَّةِ لِمُعَارَضَتِهِ الْأَصْلَ الْقَطْعِيَّ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَأَنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا طيرة ولا عدوى.
إلى أن قال: وَفِي الشَّرِيعَةِ مِنْ هَذَا كَثِيرٌ جِدًّا وَفِي اعْتِبَارِ السَّلَفِ لَهُ نَقْلٌ كَثِيرٌ وَلَقَدِ اعْتَمَدَهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ لِصِحَّتِهِ فِي الِاعْتِبَارِ. ه (الموافقات للشاطبي 185/3 وما بعدها)

قلت: فهذا أصل معروف عند أهل العلم ومما لا يُختلف فيه كما قال الشاطبي
وإنما اختلفوا في تطبيقه على النصوص المتعارضة والمختلفة كلٌ بحسب فهمه واجتهاده.

وهذا عند تعارض خبر الواحد مع النص المتواتر فكيف إذا خالف هذا الخبر مجموعة من الأخبار والنصوص القرآنية التي تنفي حدوث مثل هذه الآيات والمعجزات الكونية في حق النبوة الخاتمة بخلاف ما كان عليه الأمر عند الأنبياء السابقين.

فصل في بيان دلالة آيات الكتاب على امتناع حدوث المعجزات العامة

كانت الأمم السابقة إذا جاءهم رسول قالوا له ائت بآية إن كنت من الصادقين
فيرسل الله الآيات تصديقاً لأنبيائه وتأكيداً لدعوتهم فما يكون منهم إلا التكذيب والعناد فلا يؤمن منهم إلا القليل.

حتى إذا أراد الله ختم النبوات وأرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة للوحي ودعا قومه إلى التوحيد والاسلام سأله قومه الآيات كما سألها الأمم من قبلهم فلم يجيبهم الله إلى ما طلبوا وإنما جعل آية النبي هي القرآن الكريم ليس لقومه خاصة وإنما لعموم الخلق مستمرة عبر الأجيال فهي آية خاتمة للنبوة الخاتمة.

والآيات في هذا الباب كثيرة منها قوله تعالى:

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (البقرة 118)

- فوصفهم الله بالجهل كمن سبقهم ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ , وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} (الأنعام 7-8)

- فأخبرهم أن لو أنزلنا عليكم ما طلبتموه ثم لم تؤمنوا لجاءكم العذاب عاجلا غير آجل ولم تُنْظروا.

وقال: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ , وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ , وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ , إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ , وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (الأنعام 33: 37)

- انظر إلى تسلية الله لنبيه بعد أن كذَّبوه ولو كان نزول الآيات وارد لأنزلها عليه في مثل هذا الموقف أو يصبره ويسليه بقرب نزولها بدلاً من هذا الخطاب التعجيزي لنبيه الذي يتشوق نزول الآيات لاقامة الحجة على من كذبه وإنما أرشد نبيه بالصبر على جحود الظالمين لآيات القرآن وألا يكون من الجاهلين ووكل أمر الآيات إلى الله ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ} (الأنعام 124)

- فأثبت حجية آيات القرآن وتوعد من يطلب مثل معجزات الرسل السابقين ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف 200)

- فأخبرهم أنه يتبع ما يوحى إليه وأشار إلى آيات القرآن فيها البصيرة والحجة والهدى والرحمة ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} (يونس 20)

- فوكل أمر الآيات إلى الله وفوض أمرهم إليه يحكم بينهم جزاء كفرهم وتعنتهم في طلب الآيات ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} **(هود 12)**

- فأخبره الله أنه نذير وليس عليه تلبية طلبهم كي يؤمنوا ووكل أمر الآيات إليه ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} **(الرعد 7)**

- فأخبره الله أنه مجرد نذير وليس عليه اظهار المعجزات كي يؤمنوا ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} **(الرعد 27)**

- فأخبره الله أن الهداية والضلال بأمره فلا عليك من كلامهم وما يطلبوه ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ , كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ , لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ , وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ , لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} **(سورة الحجر 11: 15)**

- فأخبر أن لو فتحناها عليهم لقالوا سكرنا أو سحرنا وذلك اعتباراً بما حدث من الأمم من قبلهم ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى , وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} **(طه 133-134)**

- فأخبرهم أن يتعظوا ممن سبقهم لمّا طلبوا الآيات ولم يؤمنوا وليرجعوا إلى الكتب السابقة وينظروا ماذا حل بهم ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ , مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء 5-6)

- فأخبرهم أن من قبلهم كفروا بعدما رأو الآيات أفأنتم تؤمنون ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا , أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا , انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} (الفرقان 7: 9)

- فوصفهم بالضلال لتعنتهم في طلب الآيات ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ , وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ , فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ , أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ , إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} (الأنبياء 4: 8)

- فأخبرهم أننا لو نشاء لأنزلنا عليكم آية تضطركم إلى الإيمان قهراً وعنوة ولكن لا نفعل ذلك لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري ثم أخبرهم أنهم كذبوا بآيات القرآن وأعرضوا عنها وألفت نظرهم إلى آيات الكون والطبيعة الدالة على عظمته ووحدانيته فهذه هي الآيات التي أعطاها الله لنبيه: آيات القرآن حجة عليهم وآيات الكون لينظروا ويعتبروا ويؤمنوا أما الآيات المعجزات فلم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ , أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ , قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (العنكبوت 50 :52)

- فوكل الآيات إلى الله وأنه نذير وأن آيات القرآن فيها الكفاية لقوم يؤمنون ولم يجبهم إلى ما طلبوا.

وقال: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} (الإسراء 59)

قلت: هذا نص صريح في امتناع نزول الآيات على النبي محمد لتكذيب الأولين بها.

وقال: {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ , إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ , وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} (يونس 95 :97)
- فمن كفر بك يا محمد لن يؤمن ولو جاءته كل آية فليس الايمان برؤية الآيات وإنما بالحجة والاستدلال وهو نور يهدي الله به من يشاء.

وعن ابن عباس قال: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ فَيَزْرَعُوا فَقِيلَ لَهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُم قَالَ: لَا بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}.
رواه أحمد (2166-2333-3223) والنسائي في الكبرى (11226) وغيرهما واسناده صحيح.

وعن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ه
رواه البخاري (4981) ومسلم (239)

يستفاد مما سبق ما يلي:

1- تكرار قوم قريش سؤال الآيات من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم النبي إلى ما طلبوا.

2- هذا السؤال كان مستمراً طوال العهد المكي منذ أن أعلن محمد أنه نبي من عند الله وإلى أن هاجر من مكة يدل عليه عامة آيات القرآن المكي في

كل مرة يسألونه ويجيبهم القرآن بأجوبة متنوعة ومتعددة وليس فيها إلا الذم والتوبيخ لطلبهم والامتناع عن نزول الآيات إذ كذَّب بها من قبلهم والاشارة إلى آيات القرآن وأن فيها الكفاية.

3- نص القرآن صراحة على منع نزول الآيات الكونية (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)

4- كل هذه النصوص تدل أن الله لم يُنزل على المشركين ما طلبوه من الآيات بل رد عليهم طلبهم ونبههم إلى أن آيات الكتاب كافية في إيمانهم إن كانوا صادقين.

5- هذه الآيات الكثيرة نزلت في مواضع متفرقة وأوقات متغايرة وكلها تؤكد على عدم نزول الآيات والاكتفاء بالقرآن.

6- في هذه الآيات دلالة واضحة أن المنهج القرآني وخطة رب العالمين في النبوة الخاتمة أن ليس هناك آيات كونية يراها الناس ليؤمنوا بخلاف ما كان مع السابقين وأن آية النبوة الخاتمة هي الحجة والبرهان بآيات القرآن.

7- قوله (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) آية مدنية النزول من سورة البقرة ولو كانت معجزة الانشقاق وقعت قبلها لاستشهد بذكرها أو ذكَّرهم بوقوعها وتكذيبهم لها.

8- في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خُيِّر بين نزول الآيات أو أن يستأني بهم قال لا بل أستأني بهم فكيف يُقال بعد ذلك بحدوث الآيات ؟!

9- الآيات الكونية يرسلها الله تخويفاً لعباده فإن كذبوا أنزل عليهم العذاب ولم يمهلوا لذا طلب النبي أن يُستأنى بقومه ولا ينزل عليهم الآيات كي لا يهلكوا كما هلك من قبلهم.

10- في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطي القرآن فهو آيته وحجته ولم يعط من الآيات شيء كالتي أعطيت للأنبياء من قبله.

11- حديث أبي هريرة مدني فأبو هريرة ممن تأخر إسلامه وكان ذلك سنة خيبر وقصة انشقاق القمر كانت في مكة فدل ذلك أن الأمر على ما هو عليه من عدم ارسال الآيات.

فإن قيل: قد أعطى الله نبيه معجزة وآية من آياته ألا وهي معجزة الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؟

فالجواب: أن هذه المعجزة ليست من الآيات العامة التي يراها الناس كي يؤمنوا فالنبي أسري به ولم يشعر به أحد حتى أخبرهم هو بعد ذلك فصدقه المؤمنون وكذبه الكافرون لكن لم يطلع عليها أحد والكلام هنا على الآيات الكونية العامة التي يراها الناس للدلالة على النبوة وتصديق الرسل.

ومن جيد الكلام في هذا الباب ما قاله الشيخ محمد الغزالي في كتابه الطريق من هنا (ص57) قال:
عندما قرأت حديث الانشقاق شرعت أفكر بعمق في موقف المشركين أنهم انصرفوا مكذبين إلى بيوتهم ورحالهم بعدما رأوا القمر فلقتين عن يمين الجبل وشماله قالوا: سحرنا محمد ومضوا آمنين سالمين لا عقاب ولا عتاب.. ! قلت: كيف هذا؟ في سورة الأنبياء يحكي الله سبحانه سر كفر المشركين بنبيهم محددين مطلبهم منه (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) ويحكي القرآن لماذا لم يجابوا إلى مطلبهم (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) إن التكذيب بعد وقوع الخارق المطلوب يوجب هلاك المكذبين !
فكيف يترك هؤلاء المكّيون بدون توبيخ ولا عقوبة بعد احتقارهم لانشقاق القمر؟ ويؤكد القرآن الكريم هذا المنطق في سورة الإسراء

(وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) فإذا كان إرسال الآيات ممتنعا لتكذيب الأولين بها فكيف وقع الانشقاق؟

بل كيف يقع أو يقع غيره والله يقول في سورة الحجر (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ

قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) ثم إن المشركين في مواطن أخرى ألحوا في طلب الخوارق الحسية (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا..) فلماذا لم يقل لهم: سبق أن انشق لكم القمر فكذبتم؟ أيمر هذا الحدث ليعقبه صمت تام؟ ..

وفي سورة أخرى قيل للكافرين وهم ينشدون المعجزات الحسية: حسبكم القرآن فيه مقنع لمن نشد الحق (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ..) إن مئات الآيات في سور كثيرة طوال العهد المكي دارت في إثبات الرسالة على محور واحد إيقاظ العقل وتعريفه بربه واعتبار صاحب هذا الوحي إمام السائرين إلى الله المعتصمين بحبله وتجاوزت مقترحات الكفار أن يروا آية مادية معجزة. ه

قلت: انتهى كلامه رحمه الله

وهنا دليل مهم يجب اعتباره:

كيف تقع مثل هذه الآية العظيمة ويكفر بها كل من رآها ثم لا عقاب ولا عذاب ؟! أليس هذا خلاف سنة الله التي قد خلت في عباده ؟

وأيضاً: كيف تقع مثل هذه الآية العظيمة ولا يؤمن بها أحد ممن رآها فما الفائدة من حدوث الآية ولم يُسلم بسببها أحد ؟!

فهل هذه الآية التي لو رآها الناس لآمن معظمهم أو كثير منهم أو بعضهم على أقل تقدير لا يأتي من ورائها إيمان وإسلام واحد منهم !

ما الحكمة وما الفائدة من هذه الآية العظيمة ؟!

فلا آمن أحدٌ بسببها ولا هي نذيرٌ يخوف الله بها عباده (وما نرسل الآيات إلا تخويفا)

إن الله العليم الحكيم سبحانه منزَّه عن إحداث معجزة كونية عظيمة عبثاً بلا فائدة فلا يراها الناس ليؤمنوا ولا هي نذير بين يدي عذاب أليم هذا مناف لصفات العلم والحكمة وسنة الله في خلقه !

وتخيل نفسك من أحدهم فماذا كنت فاعلاً لو رأيتها ؟

أليس هذا من دواعي التشكيك في القصة أن كذَّب بها أهل مكة كما كذب الذين من قبلهم ثم لا عقاب ولا شيء وأن ليس هناك ولو نفراً واحداً يدخل الاسلام بسببها ويقول أنا أسلمت يوم انشق القمر أو كان ذلك أول ما وقر من الايمان في قلبي !

ومما يذكر هنا قصة بداية اسلام جبير بن مطعم قال:

قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي فِدَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَة {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ , أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ , أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ} قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي. ه

رواه البخاري (4854-4023) وانظر الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (324/21)

وقصة انشقاق القمر كانت في مكة قبل يوم بدر فلو رأى جبير بن مطعم انشقاق القمر لآمن أو كان ذلك أول ما وقر من الايمان في قلبه ولذكرها كما ذكر قصته مع الآيات من سورة الطور والله أعلم.

الرد على محاولة تأويل الآيات والتوفيق بينها وبين حدوث معجزة انشقاق القمر

حاول بعض المفسرين والفقهاء تأويل الآيات لرفع اشكال التعارض واثبات حدوث قصة الانشقاق وأنه لا يتعارض مع ما سبق من الآيات وكان لهم في ذلك عدة محاولات من أهمها وأشهرها:

1- زعم بعضهم أن الامتناع عن إرسال الآيات ليس على عمومه وإنما هو في الآيات التي طلبها المشركون كما في قوله تعالى:
(وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)
أو كما جاء في السنة في سبب نزول الآية (سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ فَيَزْرَعُوا)

قالوا: فمثل هذه الآيات بأعيانها هي الممتنعة أما انشقاق القمر فليس منها فلا يمتنع

وهذا تأويل بعيد وتخصيص لعموم الآية بغير دليل.
وهذه الآيات طلبها المشركون كأمثلة وليست مطالب حصرية لا يريدون غيرها ولو كان أعظم منها !
وقد ذكر الله المشركين في غير موضع (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) على العموم من غير تعيين لآيات بعينها كما زعموا
فالأمر ليس خاصاً بما عَيَّنوه من الآيات بل المراد طلب المشركين لآية مادية عظيمة يرونها ويتحققوا منها بأنفسهم فالآية على عمومها في المنع.

2- وقال آخرون: الجمع بين الآيات وأحاديث الانشقاق أن الآيات التي لم يرسلها الله تعالى هي التي طلبها المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يُجابوا إلى ما طلبوه من آيات سواء كان هذا الطلب على العموم

أو بتعيين آية بعينها أما الآيات التي تأتي ابتداءً من غير سؤال أو طلب فهذا لا يمتنع.

وهذا في البطلان كسابقه ولا دليل عليه ثم قد جاء في الروايات أن أهل مكة سألوا الآية وطلبوها من النبي كما في حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري (4867) قال: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ.

فكيف يُجابوا إلى ما طلبوه وسألوه وآيات القرآن صريحة في المنع ؟!

3- وقال آخرون: المقصود بالمنع في الآيات هي الآيات المقترحة التي طلبوها واقترحوها أما إذا لم يطلبوا آية معينة وإنما طلبوا جنس الآيات فلا يمتنع كانشقاق القمر فهو آية عظيمة من آيات الله لكن المشركين لم يطلبوها بعينها بل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم القمر شقين كما ثبت ذلك في الأحاديث وليس فيها أن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يشق لهم القمر شقين بل سألوه آية من غير تعيين !

وهذا مردود أيضاً وهو من جنس ما سبق وأي فرق في طلب المشركين للآيات بالابهام أو بالتعيين ! وإنما هو افتراض ومحاولة للخروج من مأزق التعارض بأي تأويل عقلي ممكن وهو افتراض ليس عليه دليل.

وسبق نقل الآيات بأن الكفار طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آية من الآيات على الإبهام من غير تعيين ولا اقتراح لآية بعينها وأيضاً لم يجابوا إلى طلبهم وكان الرد بالمنع ولا فرق.

وقد رأيت بعض هؤلاء وقد قسّم الآيات قسمين:

النوع الأول: الآيات التي يطلبها الكفار تشهياً وعناداً فهي آيات مقترحة بعينها يسألها أقوام الأنبياء كما فعلت ثمود مع نبيهم صالح عليه السلام

فهذه الآيات لما كذبوا بها أنزل الله عليهم العذاب فهذه هي المرادة بالمنع وعدم الارسال.

والنوع الثاني من الآيات: ما يرسله الله ابتداءً تأييداً لأنبيائه من غير طلب أو بعد أن يطلبها أقوام الأنبياء ولكن من غير تعيين لآية بالتشهي والعناد فهذه الآيات لا يمتنع حدوثها ومنها آية انشقاق القمر.

وهذا التقسيم ابتداء لا دليل عليه وإنما هو اجتهاد هذا القائل وفهمه للآيات

أو بعبارة أخري افتراض افترضه وتقسيم وضعه كقاعدة ينطلق منها الي تأويل الآيات

وحقيقة هذا الافتراض هو تقييد للآية المانعة وتخصيص لعمومها بغير دليل

فالله تعالى يقول (وما منعنا أن نرسل بالآيات) فيأتي هؤلاء ليقولوا: لا, ليس مطلق الآيات وإنما ما يطلبه الكفار بعينه آية معينة يقترحونها تشهيا وعنادا !

فهذا التقييد والتخصيص لعموم الآية ما دليله ؟

ولو فرضنا جدلا قبول هذا التقسيم أليست آية الانشقاق هي من الآيات التي طلبها الكفار تشهياً وعناداً بدليل أنهم لما رأوها كفروا وكذبوا تماماً كما فعل الأولون تشهياً وعناداً ؟!

وآية الناقة في قصة ثمود والتي يضربونها كمثال لآية اقترحها الكفار بعينها تشهياً وعنادا ماذا قالت ثمود: (فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ)

فلم يُعيّنِوا واحدة بل طلبوا الآيات من غير تعيين ! [1]

وفرعون أهلكه الله وأغرقه هو وجنوده وصار في هلاكه آية وعبرة للعالمين وإنما قال لموسى (إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) [الأعراف] **ولم يُعيّن آية بعينها.**

فقوم ثمود لم يطلبوا آية على التعيين .. تماماً كما فعل فرعون .. تماماً كما فعل كفار مكة ولا فرق.

فهذا التقسيم باطل أصلاً وتطبيقاً والحمد لله.

آيات منزوعة من سياقها:

أورد بعضهم بعض الآيات وقد نزعها من سياقها وظن أن هذه الآيات تتحدث عن معجزات كونية يراها الناس فاستشهد بها على حدوث انشقاق القمر بمكة أو امكانية حدوثه مع أنه لو أورد الآيات في سياقها وتمعن في قراءتها لعلم أن الآيات لا تتحدث عن المعجزات وإنما هي آيات القرآن وحججه المنطقية والطبيعية التي استدل بها القرآن في اثبات الوحدانية والعبودية والجزاء والحساب واليوم الآخر وغيرها من تقريرات القرآن وحججه وإنما سميت آيات وحجج لقوتها ووضوح الاستدلال بها:

فمن هذا قوله سبحانه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ , هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ , وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ

---

1 وأما ما رواه الطبري (527/12) وابن أبي حاتم (10986) عن ابن إسحاق في قصة ثمود وفيه أن صالحاً قال لهم: أي آية تريدون؟ فقالوا له: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة: ما شاكلت البخت من الإبل. فهي رواية شديدة الضعف وهي من حكايات وغرائب ابن اسحاق التي يذكرها بلا إسناد فهي رواية واهية لا يعتبر بها.

وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ , وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ , فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ , أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} (سورة الأنعام 1: 6)

وقال: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ , وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ , وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ , فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ , وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ , لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (سورة الأنعام 122 :127)

فقوله (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ) أي آية شرعية وحجة قرآنية بصحة رسالة محمد ثم توعد في نفس الآية من اشترط في ايمانه أن يؤتى محمد مثل ما أوتي الرسل من قبله من المعجزات الكونية فقال (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ)

وكذلك قوله سبحانه: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ , وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (سورة الأنعام 25: 26)

وقوله: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ , سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا

بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ , وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (سورة الاعراف 145: 147)

فهذه الآيات التي يرونها إنما هي آيات الكتاب المسموعة في التلاوة أو المكتوبة في الألواح كما هو سياق الآيات وسبق نقل أقوال بعض المفسرين أن مثل هذه الآيات تأتي للاستقبال أو لبيان الشأن وتكون الجملة مستأنفة من ذكر أحوال المشركين وتكذيبهم ومكابرتهم.

وقوله: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ , بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ , وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ , وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ , وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ , أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ , أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ , قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ , وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ , هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} (سورة الصافات 11 :21)

وهذه في آيات البعث والحساب وأهوال القيامة حين يسمعونها تتلى عليهم يسخرون ويكذبون لذا قال الله جواباً عليهم: (قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ) وليس الكلام على معجزة قد حدثت في الدنيا كما تأوله بعض المفسرين وهو تأويل بعيد عن سياق الآيات وليس عليه دليل والله أعلم.

فكل هذه الآيات وغيرها إنما تتحدث عن آيات القرآن الكريم وحججه والتي هي المعجزة الحقيقية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فهذه المحاولات كلها تأويلات متكلفة لمحاولة صرف الآيات عن ظاهرها ودلالتها
مع أن الله يقول لما طلب المشركون من نبينا الآيات (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

ولفظ الكفاية واضح الدلالة في الاكتفاء بآيات القرآن والاستغناء عن غيرها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ

مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ.

وقوله {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ}

فالأولون جاءتهم الرسل بالآيات فكذبوا بها فلذلك منعها الله مع النبي الخاتم بنص الآية فلماذا تكلف التأويل ؟!

وتأمل معي الآية وتدبر معناها: الله سبحانه يخبرنا أنه لن يرسل بالآيات مع هذا النبي الخاتم لماذا؟ ما العلة؟ ما هو المانع ؟

لأن الأولين كذبوا بها فما فائدة إرسالها على قومك وقد كذب بها من قبلهم فهذه علة الحكم بصريح العبارة.

ثم بعد هذا التقرير وبيان سببه وعلته يعود ليرسل بالآيات على خلاف ما قرره وأحكمه ! ويشق القمر نصفين في آية عظيمة باهرة ثم ماذا ؟

يكذب بها أهل مكة كما كذب بها من قبلهم مرتكبين نفس الحماقة ونفس العلة

نفس العلة التي من أجلها قرر الحكيم الخبير منع نزول الآيات على النبي الخاتم !!

أليس هذا تعارض ظاهر منافٍ لحكمة الله وسنته في خلقه؟ وهو بمثابة الغاء لدلالة خبر محكم في القرآن الكريم.

وهذا ليس في حق آية واحدة بل آيات محكمات وليست مجرد عمومات يسهل تخصيصها والاستثناء منها فهذا التصرف في حقيقته إبطال لدلالتها.

وسبق ذكر هذه الآيات في مواضع متعددة من الكتاب العزيز لو تأملتها مجتمعة فسيتبين لك أن هذا هو المنهج القرآني ومراد رب العالمين وخطته في حق النبوة الخاتمة أن ليس هناك ارسال للآيات الكونية العامة كمعجزة للدلالة على صدق النبي الخاتم وأن الآية والحجة الباهرة هي القرآن المبين.

فهذه كلها تأويلات متكلفة وفيها تعسف ظاهر وليس عليها أي دليل يؤيدها من السمع أو النظر وحقيقتها إبطالٌ لدلالة نصوص القرآن في امتناع حدوث الآيات الكونية يراها الناس.

فالترجيح هو المتعين لاحتمال الخطأ والوهم من الراوي

ولأن الحادثة عظيمة والتواتر فيها متعين وهو غير موجود

فكيف لم ينقلها العامة ولم يذكرها شاعر ولم يسلم عندها كافر ولم تسجلها الأمم أفكلهم كانوا غافلين ؟!

ثم إن تعارض حدوثها مع نصوص الشرع ظاهر

فخبر الواحد المخالف لهذه النصوص الصريحة والمخالف لامكانية حدوثها من غير شهرة ولا معرفة الناس بها والمخالف لحكمة الله في منعه لمثلها خبر منكر مردود غير مقبول والله أعلم.

ورد خبر الواحد إذا تعارض مع المتواتر القطعي هو من طرائق أهل العلم في الحكم على المرويات كما قرره علماء الأصول.
ورد الخبر ليس معناه بالضرورة تكذيب الراوي أو اتهامه في روايته وإنما كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطئ)

فالسمع يخطيء والبصر يخطيء وكذلك سائر الحواس الخطأ والوهم فيها وارد لا يسلم من ذلك أحد إلا من عصمه الله.

وقد اختلف الرواة في نقل تفاصيل القصة عن عبد الله بن مسعود
فرواها أبو معمر عن ابن مسعود وذكر القصة وتفاصيلها
ورواه مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود وهو من أجل أصحابه كتفسير للآيات فقال: قال عبد الله: خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان.

فكان عبد الله بن مسعود يتأول ويذهب إلى وقوع كل هذه الآيات
وخالفه بعض الصحابة في الدخان والبطشة الكبرى فقالوا في الدخان هو من علامات الساعة والبطشة الكبرى هي يوم القيامة.

وسبق ذكر الأدلة من القرآن والسنة على أن آية انشقاق القمر هي أيضاً من هذه الآيات التي تحدث يوم القيامة وقد أخطأ من قال بوقوعها في حياة النبي والله أعلم.

محاولات واهية في اثبات القصة من الناحية التاريخية

حاول البعض قديماً وحديثاً تأييد وقوع القصة من بعض الوثائق التاريخية وذلك دفعاً للاعتراضات السابقة بأن ليس هناك من الأمم من رصد هذه الواقعة
فحاولوا اللجوء إلى أخبار وقصص هي في الحقيقة أساطير وخرافات ليست من الوثائق التاريخية في شيء.

وذلك بأنهم زعموا أن الهنود قد عرفوا انشقاق القمر وسجلوه في تراثهم وعلى أبنيتهم كما حكي في بعض الكتب !
واعتمدوا في ذلك على أخبار مجهولة وقصص لم يُتحقق من مصدرها المباشر وإنما جاء ذكرها في القرون المتأخرة بلا سند أو دليل !

قال رحمة الله الهندي (ت 1308): وفي المقالة الحادية عشر من تاريخ "فرشته" أن أهل مليبار من إقليم الهند رأوه أيضاً وأسلم والي تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعد ما تحقق له هذا الأمر وقد نقل الحافظ

المزي عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناءً قديماً مكتوباً عليه: بني ليلة انشق القمر. ه
اظهار الحق (1039/4)

قلت: لم أره لابن تيمية وإنما ذكره ابن كثير تلميذ ابن تيمية بصيغة التمريض (ويقال) وذلك في البداية والنهاية 120/3 ط. هجر فقال:
وَيُقَالُ: إِنَّهُ أُرِّخَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْهِنْدِ وَبُنِيَ بِنَاءٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأُرِّخَ بِلَيْلَةِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ. ه

وهذه مقولة مجهولة السند لا أصل لها ولا مرجع يتحقق منه ومثله لا يفيد شيئاً في الاستدلال.

وتاريخ فرشته الذي ذكره رحمة الله الهندي هو من تأليف محمد قاسم هندوشاه استرآبادي (توفي بعد 1033ه)
وهو كاتب فارسي مسلم متأخر من أبناء القرن الحادي عشر الهجري
وهو رجل إخباري لا يعرف النقد أو التحقيق وينقل عن النساخ والمجاهيل
وكتابه مطبوع باللغة الفارسية والانجليزية.
انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية (7850/25)

وأما ما ينقلونه عن بعض المسافرين فهي رواية مجهولة لا تفيد في العلم شيء
وهذه ونحوها حكايات وأخبار يتناقلها البعض بلا إسناد ولا تحقق ولعلها من وضع بعض الهنود قديماً لتأكيد القصة في أذهان الناس كما فعل بعض الصالحين في تعمد الكذب ووضع الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لترغيب الناس في أفعال الخير والعبادة زعموا !

ومثله كذلك ما يفعله بعض المعاصرين بزعمهم أن شعوب المايا في أمريكا اللاتينية قد رأت هذا الانشقاق وسجلته في رموزها وتراثها ويعزون ذلك لمقال على أحد المواقع الأجنبية التاريخية المتخصصة في حضارة المايا !

وهكذا للأسف بني جلدتنا عندما يرون المصدر من المراجع الأجنبية أو اسم الكاتب باحدى اللغات الأوروبية يصدقون بلا تردد ويؤمنون بلا بحث أو تحقق
وهذا من عقدة نقص الثقافة التي نعاني منها في مجتمعاتنا للأسف.

مع أن الموقع نفسه الذي ينقلون منه هذه المعلومات قد حذف هذا المقال لعدم دقته وتقديمه معلومات زائفة للقراء وليس حقداً على الاسلام كما يدعون
فبطلان هذه الدعوى ظاهرة للعيان وأبسط دليل على بطلانها أن حضارة المايا هذه كانت في بلاد أمريكا الوسطى (المكسيك والسلفادور وبيرو وما حولهم) وهذه البلاد في النصف الآخر من الكرة الأرضية واختلاف التوقيت فيها واضح ظاهر.
فالشمس تغرب عندنا في بلاد العرب أولاً وفي الجانب الآخر عندهم الشمس في رابعة النهار.
وتستطيع بعملية حسابية بسيطة أن تعرف الساعات الأولى من الليل عند العرب تكون في نفس الوقت على الجانب الآخر في وضح النهار فكيف يشاهدون القمر إذا انشق عند العرب !

أليس هذا من الكذب الصريح والاستخفاف بعقول الناس ؟

هذا وأنبه من خطورة اقحام العلم الحديث ونتائجه واستكشافاته للدلالة على حدوث هذه القصة كما يفعله الكثيرون من المشتغلين بما يسمى الاعجاز العلمي
وأغلبهم من غير المتخصصين في العلوم أو هم متخصصون في فن ويتكلمون في فن آخر لا يحسنوه وللأسف يأتون بأشياء تروج على الجهال ويضحك منها المتخصصون.

ومنها ما انتشر على مواقع الانترنت ويروج له الكثير من المثقفين الاسلاميين أن وكالة ناسا لعلوم الفضاء أثبتت انشقاق القمر !

يا قوم أين عقولكم وأين يذهب بكم ؟!

مثل هذا التدليس والجهل لا يصح السكوت عنه باسم مصلحة الدعوة أو نشر الاسلام فما بني على باطل فهو باطل قال الله تعالى (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)

نعم بالفعل هناك شقوق وأخاديد في القمر رصدتها وكالة ناسا ونشرت بعض الصور على موقعها الرسمي وهي شقوق وليست شقاً واحداً وهي ليست بكامل قطر القمر ولا تلتف حوله كاملاً وعمقها صغير جداً بالنسبة لقطر القمر وحجمه
ونفس هذه الشقوق موجودة في أقمار وكواكب أخرى في الفضاء !
ولهذه الشقوق أو الأخاديد أشكال وأنواع ولكل منها سبب مختلف في نشأته وتكوينه.

وهذه الشقوق تكونت في مراحل زمنية مختلفة وهي أحقاب زمنية بعيدة أقدم من عمر الانسان على الأرض.

وبحسب تصريح أحد علماء وكالة ناسا فليس هناك دليل على حدوث انشقاق في القمر في أي نقطة زمنية معروفة سبقت في التاريخ الانساني المعروف.

وهذا رابط فيديو مترجم فيه شرح مختصر للموضوع منسوب لأحد علماء ناسا:

https://youtu.be/VSpnAJ50MQk

ومحاولة التفسير العلمي للمعجزات أراها والله أعلم يعتريها القصور فإنما سُمِّيت خوارق لأنها تخرق عادة الطبيعة بقدرة الله تعالى.

وقد حاول كثير من المعاصرين اثبات المعجزات من هذه الطريق والله أعلم بصحة ما ذهبوا إليه.

خاتمة

وختاماً فمرويات قصة انشقاق القمر وردت من حكاية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نقلها عنه بعض الصحابة ولم تبلغ حد التواتر ولم يتابعه على روايتها أحدٌ حضرها أو شهدها
وقد اختلف عليه أصحابه في ألفاظها وذكر تفاصيلها منهم من رواها عنه كقصة حضرها وشهدها بمكة ومنهم من رواها عنه كتفسير منه للآية
وهو خبر منكر يخالف نصوص الكتاب والسنة القطعية الصريحة بامتناع نزول الآيات الكونية على النبي الخاتم
وإنما الآية الكبرى في الكتاب والوحي المبين.

وباختصار أقول:

هذه القصة غير واقعية لأسباب:

1- مخالفة لآيات الكتاب والأحاديث الصحيحة التي تنفي حدوث مثلها.

2- مخالفة لسنة الله في خلقه بانزال العذاب على من كذَّب بمثلها.

3- مخالفة لعلم الله وحكمته إذ لا فائدة منها والله منزه عن العبث.

4- مخالفة للواقع والتاريخ فلم يعرفها الناس ولم يذكرها أحد.

5- مخالفة للعلم الذي لا يثبت حدوث مثل هذا الانشقاق في الماضي إذ لم يرصدها ولم يجد لها أثراً أو دليلاً.

6- مخالفة للمعقول والمشاهد من أحوال الناس إذ لو رأوها لكان منهم من آمن أو كان أول ما وقر الايمان في قلبه.

وسبق القول أن الحادثة لو وقعت فهي معجزة عظيمة لا تقل شأناً عن معجزة ناقة صالح وعصا موسى وقد تكرر ذكرهما في القرآن بصراحة لا تحتمل التأويل.

وحتى معجزة الاسراء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكرها رب العالمين بصريح العبارة وصدَّرها بقوله (سبحان الذي) تمجيداً وتعظيماً لما حدث
مع أنها ليست معجزة تحدي للكفار يروها كي يؤمنوا وإنما هي كرامة من الله لنبيه وليست حجة من الله على عباده فلم يرها أحد من الناس وإنما أخبر بها النبي بعد حدوثها.

وهذا أمر يستحق النظر والاستقراء فآيات الاعجاز تأتي صريحة واضحة لا تحتمل التأويل بخلاف قصة انشقاق القمر هذه فلم تُذكر صراحة في القرآن بل ما ذكر في القرآن صراحة هو نفي حدوث مثلها كما سبق بيانه على التفصيل والحمد لله.

كذلك المرويات لم تأت عن طريق التواتر وإنما هي من أخبار الآحاد أو خبر الواحد ومثل هذا لا يصح أن يُعارض به النص القرآني المتواتر لاحتمال الخطأ أو الوهم من الراوي والله أعلم.

وقد ذهبت المعتزلة إلى تكذيب الصحابي عبد الله بن مسعود واتهامه في روايته وأعوذ بالله من اتهام أصحاب رسول الله وإنما هو الخطأ والوهم ولا عصمة في هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والوهم وارد ومحتمل في القصة فلعله كان كسوفاً للقمر كما قال عكرمة فتوهم أنه انشق والله أعلم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه أحمد فوزي وجيه

(2019م)